مَسيرة الشّعب الفلسْطيني وآفاق الصِّراع العَربي - الإسْرَائيلي في الثمَانينَات

احمَد صدقي الدّجاني

مؤسّسة الدّراسات الفلسطينيّة

الطبعة الاولى ، بيروت – ١٩٨٠

مؤسسة الدراسات الفلسطينية
شارع انيس النصولي – متفرع من شارع فردان
بيروت – لبنان . تلفون : ٣١٩٦٢٧
برقيا : دراسات . ص . ب ٧١٦٤ – ١١

ماذا نرى في آفاق الصراع العربي – الاسرائيلي خلال ثمانينات القرن العشرين ؟

كيف ستكون مسيرة الشعب الفلسطيني وسط امته العربية ، وهو يناضل من اجل تحرير وطنه في هذا العقد من السنين ؟ اي شوط ستقطعه هذه المسيرة ؟ ما هي التحديات التي ستواجهها ، وما هي القضايا التي ينبغي التصدي لمعالجتها ؟

ان تعاملنا مع بعد الزمان في هذا البحث ، يذكرنا بأن شعب فلسطين يدخل مع الثمانينات القرن الثاني في مواجهته للغزوة الصهيونية ، التي استهدفت وطنه حيث بدت تباشيرها واضحة مع الموجة الاولى للتهجير الصهيوني عام ١٨٨٢ . كما نذكر ان اكثر من ستة عقود مضت على صدور تصريح بلفور عام ١٩١٧ ، وأكثر من ثلاثة عقود مضت على قيام دولة اسرائيل بقرار دولي . ونشير الى اننا نعيش العقد الثاني في المرحلة الراهنة من النضال الفلسطيني الذي تقوده منظمة التحرير الفلسطينية ، والى ان منطقتنا العربية دخلت قرنا هجريا جديدا هو القرن الخامس عشر .

نستشعر الحاجة ، ونحن في صدد البحث في رؤية مستقبلية ، ان نطرح بايجاز فهمنا لحديث المستقبل ومنهجنا في الدراسة المستقبلية . ان حديث المستقبل يلبي حاجة انسانية في استشراف آفاق الغد ، واستشفاف كنه ما سيأتي . وكما ان الذي يعرف

قدم الدكتور احمد صدقي الدجاني محاضرته هذه في شهر تموز (يوليو) ١٩٨٠ في اطار سلسلة الندوات التي اقامتها مؤسسة الدراسات الفلسطينية خلال اشهر الصيف حول موضوع « آفاق الصراع العربي – الصهيوني في الثمانينات » . وقد نشر الجزء الاول من المحاضرة في مجلة « شؤون فلسطينية » ، العدد ١٠٥ . وتقدم المؤسسة في هذا الكراس المحاضرة كاملة .

من اين يعرف الى اين ، فان الذي يتشوف غده يدرك بوعي اعمق اين يقف اليوم . وواضح ان حديث المستقبل وثيق الصلة بحديث الحاضر والماضي . وهو ليس مجرد تنبؤ يقوم على الرجم بالغيب ، ولكنه محاولة علمية تتكامل فيها الدراسات لمعرفة جوانب صورة الحاضر ، وتلاحظ فيها سنن الكون ومجرى الحركة التاريخية من خلال دراسة الماضي ، وترسم على ضوء ذلك كله صورة المستقبل .

ان البحث في آفاق الصراع العربي – الاسرائيلي ، على مدى عقد قادم من السنين ، يقتضي ان ننظر الى الاحداث الجارية بنظرة شاملة ، تأخذ بعين الاعتبار مختلف أبعاد الصراع وتحيط بشتى جوانبه . فهي ترى الأبعاد الدولية والقومية والمحلية ، وما يخص العدو منها وما يخصنا نحن ، والجوانب العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية والفكرية . كما ان هذا البحث ينطلق من ادراك ان توقع ما سيجري مرتبط بتطلع الانسان الى الاسهام في صنع المستقبل . فالفرد الانساني قادر على ان يكون فاعلا في الاحداث . وهو وان لم يكن بامكانه الوقوف في وجه حركة التاريخ إلا ان بامكانه التأثير على تيار الاحداث المتدفق وتحويله لصالحه . وهكذا ، فان هذا الحديث المستقبلي يوظف المعرفة للفعل والتأثير ، ويحاول تحديد ما ينبغي ان يكون دون ان يغفل عن توقع ما سيكون . والغاية ان تتوافق ، من خلال الفكر والادارة والقدرة ، صورة الآمال مع صورة التوقعات .[1]

* *

نبدأ بحديث الحاضر والماضي فننظر كيف كانت مسيرة الشعب الفلسطيني في اطار الثورة الفلسطينية خلال السبعينات التي ودعناها ، وننظر اين تقف منظمة التحرير الفلسطينية التي تقود هذه الثورة اليوم وهي تستقبل الثمانينات .

لقد حفل العقد الماضي بأحداث هامة اتصلت بالصراع العربي – الاسرائيلي مباشرة او بصورة غير مباشرة ، وجرت على شتى الصعد المحلية والقومية والدولية .

بدأت السبعينات بأحداث ايلول (سبتمبر) الاسود عام ١٩٧٠ في الاردن ، وغاب

---

[1] يراجع حول الدراسة المستقبلية : قسطنطين زريق ، « نحن والمستقبل » (دار العلم للملايين) ؛ احمد صدقي الدجاني ، « ماذا بعد حرب رمضان » (المؤسسة العربية) ، وذلك من بين كتب اخرى .

عن المسرح السياسي العربي في ذلك الشهر جمال عبد الناصر ، ابرز زعامة عربية في المنطقة . وبلغت تلك الاحداث ذروتها عام ١٩٧١ ، ونتج عنها انتقال مركز قيادة منظمة التحرير الفلسطينية الى لبنان . ونشبت حرب رمضان في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ بين مصر وسورية والمنظمة من جهة ، وبين اسرائيل من جهة اخرى . وهي الحرب الرابعة في الصراع العربي – الاسرائيلي ، وكان من حصادها ظهور قضية الطاقة في العالم الغربي . وتم في اعقابها انعقاد مؤتمر جنيف وابرام اتفاقيتي فصل القوات بين اسرائيل ومصر اولا ، ثم بين سورية واسرائيل . كما تم ابرام اتفاقية فصل القوات الثانية بين مصر واسرائيل في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٥ . وتفجرت في النصف الاول من ذلك العام الحرب اللبنانية ، وكان التوتر قد ظهر في لبنان بوضوح منذ عام ١٩٧٣ . وتمت في تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٩٧٧ زيارة رئيس جمهورية مصر ، انور السادات ، الى القدس حيث تحدث في الكنيست الاسرائيلي . وقامت اسرائيل بهجومها على جنوب لبنان في آذار (مارس) ١٩٧٨ ، فجرت حرب الايام الثمانية . وجاء ابرام اتفاقيات كامب ديفيد بين الولايات المتحدة واسرائيل ومصر في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٨ . وانعقد مؤتمر القمة العربي التاسع في بغداد لمواجهة هذه الاتفاقيات في تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٧٨ . وتم ابرام المعاهدة الاسرائيلية – المصرية في آذار (مارس) ١٩٧٩ بعد فترة قصيرة من انتصار الثورة الاسلامية في ايران وسقوط نظام الشاه في مطلع ذلك العام . وشهدت السبعينات أحداثا اخرى هامة في عالمنا ، نشير من بينها الى تصفية الاستعمار البرتغالي في افريقيا ، والخروج الاميركي من الهند الصينية ، وبروز الازمة الافغانية .

جرت أحداث منطقتنا في السبعينات وسط مناخ دولي كان له دوره في انضاجها ، وحملت هذه الاحداث في تضاعيفها تغيرات هامة تتعلق بالصراع العربي – الاسرائيلي . وقد اثرت بدورها على هذا المناخ الدولي ، الذي بدأ في مطلع السبعينات محكوما بسياسة الانفراج ، وأصبح في نهايتها محكوما بأزمة حادة تعاني منها سياسة الانفراج .

كانت ملامح المرحلة الجديدة في التوازن الدولي التي عرفت باسم الانفراج قد بدت في اعقاب حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ حين اجتمع كوسيغين وجونسون في غلاسبورو ، وما اسرع ما بانت بوضوح اكثر في اجتماع موسكو عام ١٩٧٢ بين بريجنيف ونيكسون ، وفي اجتماع فلاديفوستك عام ١٩٧٤ بين بريجنيف وفورد ، وأخذت صورة اجتماعات

دورية بين ممثلي الدولتين وأثمرت اتفاقيات في عدد من المجالات. وقد جاءت هذه المرحلة في اعقاب مراحل ثلاث عبرها التوازن الدولي منذ الحرب العالمية الثانية، كتطور منطقي يعبر عن الاستجابة لتحدي الخطر النووي الذي اشتد مع تقدم صنع الاسلحة النووية، ولتغيرات اخرى في الصورة الدولية. وهكذا، انتقل هذا التوازن من سياسة حافة الحرب، الى سياسة الردع الشامل، الى سياسة التعايش السلمي، الى سياسة الانفراج.[٢]

اختلف تطبيق سياسة الانفراج عند الدولتين الكبريين من منطقة الى اخرى، بحسب مواقع هذه المناطق منهما وطبيعة مصالحهما فيها. وقد اتسمت منطقة الوطن العربي بحساسية خاصة في هذه السياسة، لما تتميز به من اهمية تنامت بقوة في السبعينات، ولانها من المناطق التي لم تتحدد فيها بوضوح **الخطوط الفاصلة بين مصالح الدولتين**. وانعكست هذه الحساسية على طريقة معالجة كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة لقضية فلسطين والصراع العربي – الاسرائيلي عامة، وعلى طريقة تعاونهما في هذه المعالجة. ولقد شرح هارولد سوندرز في مؤتمر حول الشرق الاوسط انعقد بسانت لويس خريف عام ١٩٧٩، مكان الصراع في العلاقة بين الدولتين حين عرض للمصالح الاميركية في المنطقة، ووضع المصلحة المتعلقة بالاتحاد السوفياتي كأول هذه المصالح، فقال: «مع اننا ادركنا منذ امد طويل اهمية حرمان الاتحاد السوفياتي من ان يكون له نفوذ ساحق في الشرق الأوسط، إلا اننا عرفنا ايضا في حدة ازمتين بأن لنا اهتماما خاصا بتحاشي المجابهة مع السوفيات في الشرق الاوسط في هذا العصر النووي. ان الاتحاد السوفياتي يرى، لاسباب تتعلق بالنفوذ والنفط والقرب الجغرافي والروابط العرقية والثقافية بين عناصر من سكانه وشعوب الشرق الاوسط، بأن له مصالح في تلك المنطقة. كما اننا نهتم بأن نساعد شعوب المنطقة في الحفاظ على استقلالها حيال اية سيطرة اجنبية. ولكن، خلافا لما عليه الحال في اوروبا، حيث الخطوط بين السوفيات وبيننا مرسومة جغرافيا وبالسوابق، نجد **ان هذه الخطوط ليست محددة بوضوح في الشرق الاوسط**. ومن الممكن، سواء بالصدفة او بالتصعيد، ان ينتهي الحال

---

[٢] فصلنا شرح هذه المراحل في كتاب «ماذا بعد حرب رمضان»، وأشرنا الى كتاب جمال حمدان، «استراتيجية الاستعمار والتحرير» (كتاب الهلال).

بالدولتين العظيمتين الى المجابهة . وأن الرسائل المتبادلة بين موسكو وواشنطن ، خلال حدة الازمتين في حربي ٦٧ و ٧٣ ، جعلت ذلك الخطر في منتهى الوضوح . ولهذا ، فاننا ندرك التحدي بشكل اكثر حدة من اي وقت مضى من اجل تجنب المجابهة . »[٣]

لقد مثلت حرب حزيران (يونيو) عام ١٩٦٧ نوعا من المواجهة بين الدولتين الكبريين ، وكذلك مثلت حرب رمضان عام ١٩٧٣ ، مع انها جاءت بعد اخراج الخبراء السوفيات من مصر عام ١٩٧٢ . ومن هنا توزعت السياسة الاميركية في تحركها تجاه تسوية الصراع العربي – الاسرائيلي ، بين ما يتطلبه دفع خطر المواجهة من تفاهم مع الاتحاد السوفياتي بشأن التسوية ، وبين ما تتطلبه منافسة الاتحاد السوفياتي في المنطقة وإبعاده عنها من انفراد في التحرك . وهكذا برز اتجاهان في السياسة الاميركية حول المشاركة السوفياتية في تحقيق التسوية ، يرى احدهما ضرورة التوصل الى اتفاق مع السوفيات حول المبادىء والاجراءات ، ويرى الآخر الانفراد وإبعاد السوفيات والمضي في تحقيق التسوية من دونهم .

عبرت سياسة كيسنجر في النصف الاول من السبعينات عن هذا التوزع ، ووصلت الى تبني الاتجاه الآخر . فقد تم الاتفاق ، في اعقاب حرب ٧٣ ، مع الاتحاد السوفياتي على اطار مؤتمر جنيف برئاسة الدولتين كاطار للتوصل الى تسوية الصراع العربي – الاسرائيلي . ولكن كيسنجر سعى عمليا الى ابعاد الاتحاد السوفياتي عما اسماه « عملية السلام » . ومع انه حرص على التباحث بين حين وآخر مع وزير الخارجية السوفياتي ، اندريه غروميكو ، لتغطية سعيه ، إلا ان السوفيات لم يروا في هذا التباحث اكثر من كونه نوعا من التشاور ولا يوصل الى المشاركة المطلوبة . وهكذا ، هاجمت البيانات السوفياتية مفاوضات الخطوة خطوة التي تولتها الولايات المتحدة بمفردها ، وامتنعت موسكو عن ارسال مبعوث لحضور التوقيع الرسمي في جنيف على الوثائق الخاصة بالاتفاق الاسرائيلي – المصري الذي ابرمه كيسنجر عام ١٩٧٥ .[٤]

اتجهت الولايات المتحدة الى التفاهم من جديد مع الاتحاد السوفياتي حول التسوية

---

[٣] مجلة « النهار العربي والدولي » ، ١٩٧٩/١١/٨ .

[٤] هناك مجموعة كتب نشرت حول سياسة كيسنجر وتطبيقاتها في منطقة الوطن العربي ، نشير من بينها الى كتاب امين هويدي ، « كيسنجر والصراع الدولي » (دار الطليعة) .

في منتصف سنة ١٩٧٧ بعد تولي الرئيس كارتر زمام امور الادارة الاميركية . وكان كارتر قد طرح حال توليه تصوره للوصول الى حل سلمي للصراع العربي – الاسرائيلي ، وحدده في ثلاثة بنود رئيسية هي : « انسحاب اسرائيل من أراض محتلة ، مع اجراء تعديلات طفيفة على حدود ١٩٦٧ ، واقامة سلام كامل يشمل اقامة علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية بين اسرائيل وجيرانها العرب ، وانشاء وطن للشعب الفلسطيني . » وقد اعتمد مشروع كارتر هذا على تقرير معهد بروكينز ، واستفاد في بنده الاول من مشروع روجرز لعام ١٩٦٩ . كما تعدى في بنده الثاني ما جاء في قرار ٢٤٢ الذي تحدث عن انهاء حالة الحرب . وأشار في بنده الثالث الى تقرير مصير الفلسطينيين . وحين نبحث عن دوافع الولايات المتحدة لهذا التوجه نحو التفاهم مع الاتحاد السوفياتي ، نلاحظ انه ينسجم مع متطلبات سياسة الانفراج التي شهدت عام ١٩٧٥ توقيع اتفاقية هلسنكي للامن الاوروبي . كما نلاحظ انه جاء بعد ان جوبهت محاولات الولايات المتحدة اشراك جميع العرب في مفاوضات بصعوبات فائقة . وهكذا اتفقت الحكومتان الاميركية والسوفياتية على احياء فكرة التقارب المشترك . وأوصل اتفاقهما الى اعلان البيان السوفياتي الاميركي المشترك في ١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٧ الذي وقعه كل من سايروس فانس وأندريه غروميكو باسم دولتيهما ، باعتبارهما رئيسي مؤتمر السلام حول الشرق الاوسط .[٥]

لقد تضمن هذا البيان عددا من المبادىء والاجراءات . فتحدث عن ضرورة التوصل في اسرع وقت الى تسوية عادلة ودائمة وشاملة « تتناول كل المواضيع وكل الاطراف » . وتعالج المسائل الاساسية في المشكلة بانسحاب اسرائيل من أراض احتلت في حرب ١٩٦٧ ، وحل المسألة الفلسطينية بما في ذلك ضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، وانهاء حالة الحرب واقامة علاقات سلمية عادية رسمية على اسس الاعتراف المتبادل بمبادىء السيادة وسلامة الاراضي والاستقلال السياسي . وحدد البيان ان الطريق الوحيد

---

[٥] يراجع من بين دراسات عدة مقال جورج لنكوفسكي ، « قوس الازمات » ، مجلة « فورين افيرز » *(Foreigh Affairs)* ، ربيع ١٩٧٩ ، ترجمة مركز التخطيط ، بيروت ؛ ومقال جون س . كامبل ، « اعباء السيطرة » ، مجلة « فورين افيرز » *(Foreign Affairs)* ، صيف ١٩٧٩ ، ترجمة مركز التخطيط .

لبلوغ ذلك هو التفاوض في اطار مؤتمر جنيف للسلام ، على ان تشترك في اعماله « كل أطراف الصراع ، بمن في ذلك ممثلو الشعب الفلسطيني » .

كمنت اهمية هذا البيان في توقيت اعلانه وفي صدوره عن الدولتين الكبريين من خلال عملية تفاوض ، وفي حديثه عن ضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ومشاركة جميع الاطراف في التفاوض ، بمن في ذلك ممثلو الشعب الفلسطيني . وكانت الولايات المتحدة تتحدث قبله عن « المصالح المشروعة للفلسطينيين » ، وتتجنب الحديث عن مشاركة ممثلي الشعب الفلسطيني . وقد رأى الكثيرون في توقيع الولايات المتحدة على البيان اتجاها محمودا للاعتراف بالحقائق القائمة ومباشرة مفاوضات مثمرة ، فيما رأت اسرائيل والحركة الصهيونية العالمية غير ذلك ، واعتبرت البيان انحرافا في السياسة الاميركية التي جنحت الى الانفراد . وهكذا ، اثارت الصهيونية العالمية ضجيجا قويا ، وشنت حملة شديدة على البيان ، وهاجمت فكرة اشراك السوفيات في التسوية ، الامر الذي دفع الادارة الاميركية الى التخلي عن البيان بعد ايام قليلة من اعلانه .

سارت الولايات المتحدة في طريق الانفراد ، وعملت على فرض تسوية خاصة بها ، واتفقت مع اسرائيل على ورقة عمل اغضبت عددا من الاطراف العربية وأكدت قناعتهم بانحيازها لاسرائيل . وحين فشلت في احضار جميع الفرقاء الى طاولة المفاوضات ، شجعت زيارة رئيس جمهورية مصر الى اسرائيل ، وتولت رعاية الخط الذي رسمته هذه الزيارة ، وهكذا اسقطت احتمال تحقيق مفاوضات شاملة واحتمال قيام الاتحاد السوفياتي بدوره في المفاوضات .

اوصلت هذه السياسة الاميركية الى ابرام اتفاقيات كامب ديفيد بين مصر واسرائيل والولايات المتحدة ، ومن ثم الى توقيع معاهدة السلام بين مصر واسرائيل . وأدت هذه السياسة **على صعيد المنطقة الى زيادة التوتر فيها والى تورط الولايات المتحدة في تبني المنهج الاسرائيلي في تسوية الصراع العربي – الاسرائيلي** . كما ادت **على صعيد العلاقات بين الدولتين الى الاسهام في صنع ازمة في الانفراج الذي قام بينهما** . وأصبحت واحدة من القضايا الهامة التي زادت من حدة هذه الازمة . ولم يخف الاتحاد السوفياتي هذه الحقيقة في شرحه لحال الانفراج وللواقع القائم بعد دخوله افغانستان .

لقد كشفت السبعينات عن حقيقة تأثر الصراع العربي – الاسرائيلي بالعلاقات بين الدولتين الكبريين . وبدا واضحا ان هناك خلافا قويا حول كيفية تسوية هذا الصراع

بعد ان اتجهت السياسة الاميركية الى الانفراد في معالجته . وما زال هذا الخلاف يفعل فعله في أحداث المنطقة .

كيف ستكون العلاقات بين الدولتين خلال الثمانينات ؟ هل تنتهي ازمة الانفراج ام تشتد ؟ كيف سيكون تعامل كل من الدولتين مع الصراع العربي – الاسرائيلي في اي من الحالتين ؟

* *

سنحاول الاجابة عن هذه الاسئلة في حديث المستقبل ، ونتابع الآن التعرف بايجاز على **جوانب اخرى في الصورة الدولية** كما بدت خلال السبعينات ، وعلى الخصوص موقف كل من اوروبا الغربية ومجموعة عدم الانحياز من الصراع العربي – الاسرائيلي .

لقد اشتد اهتمام اوروبا الغربية بالصراع بعد حرب رمضان ، حيث بدا واضحا تأثر امن اوروبا الغربية بأمن الوطن العربي ، وارتباط اقتصاد اوروبا الغربية بالنفط العربي . وهكذا ، اصدرت دول المجموعة الاوروبية بيان ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ حول موقفها من الصراع ، وبنت هذا الموقف على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، مع اضافة محددة هي اخذ الحقوق المشروعة للفلسطينيين في الحسبان من اجل بلوغ سلام دائم وعادل . وتوجهت هذه الدول لمباشرة حوار مع الدول العربية ، وباشرت هذا الحوار وسارت فيه سيرا وئيدا ، ولم تستطع ان تقوم بالدور الذي كان متوقعا قيامها به في التعامل مع الصراع بسبب ضغوط ارتباطاتها بالولايات المتحدة الاميركية ، وبسبب تباين الاتجاهات داخلها . وقد اوصل الحوار الى موقف اوروبي غربي يؤكد المبادىء التي تضمنها قرار ٢٤٢ ، مع التسليم بتلبية الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، بما في ذلك حقه في التعبير عن هويته الوطنية والعيش في وطن . ووصل في بيان البندقية الاخير الذي صدر في حزيران (يونيو) ١٩٨٠ ، الى النص الصريح عن حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره . وتضمن الموقف الاوروبي ادانة للاستيطان الاسرائيلي في الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، ورفضا لاية تغييرات اسرائيلية في وضع القدس .

شهدت السبعينات اذن تطورا في الموقف الاوروبي . ولكن هذا التطور لم يتجسد في اجراءات عملية ، وبقي عاجزا عن تلبية المطلب العربي باعتراف دول المجموعة الاوروبية بمنظمة التحرير الفلسطينية . ولم تطرح ، على مدى العقد الماضي ، اية صيغة

يكون للدول التسع فيها مكان ودور لحل الصراع ، ويصدق هذا على صيغة جنيف التي تمسك بها البيان السوفياتي الاميركي . وقد فرضت سياسة الانفراد الاميركية على المجموعة الاوروبية ان توقف تحركها البطيء وتنتظر وتترقب على مدى عامين ، جمدت خلالهما الحوار العربي الاوروبي حتى انتهى التاريخ المحدد للفراغ من مفاوضات الحكم الذاتي يوم ٢٦ ايار (مايو) الماضي ، فباشرت دول المجموعة تحركها من جديد وأصدرت بيان البندقية يوم ١٣ حزيران (يونيو) ١٩٨٠ .

يجدر ان نشير ايضا الى ان بعض دول اوروبا الغربية خارج اطار المجموعة الاوروبية قد طورت موقفها من الصراع . ونشير من بين هذه الدول الى النمسا التي حاول مستشارها ان يقوم بدور فعال في تطوير موقف الاشتراكية الدولية.[٦]

كان موقف دول عدم الانحياز ، بمجموعاتها الافريقية والآسيوية والاسلامية ، متجاوبا مع الحقوق الوطنية لشعب فلسطين ، ومؤيدا لوجهة النظر العربية في تسوية الصراع . وقد رحبت هذه الدول بعضوية منظمة التحرير في المجموعة ، وقاطعت غالبيتها اسرائيل . وتحركت في الامم المتحدة وفي المنظمات الدولية عموما ضمن هذا الموقف . واتخذت في مؤتمراتها المتعاقبة ، وآخرها مؤتمر هافانا عام ١٩٧٩ ، قرارات واضحة بشأن الصراع وكيفية التحرك لتسويته .

شهدت السبعينات ايضا تطورا ايجابيا في موقف دول المجموعة الاشتراكية من قضية الصراع العربي – الاسرائيلي . واعترفت هذه الدول بمنظمة التحرير الفلسطينية . أما اليابان ، فكان التطور الذي حدث في موقفها ضئيلا . وبقي هذا الموقف تابعا للموقف الاوروبي وأسيرا للضغوط الاميركية . وقد حدث تطور محدود في مواقف دول اميركا اللاتينية . وتحسن موقف الهند المؤيد للحق الفلسطيني بعد عودة حزب المؤتمر ، بقيادة السيدة انديرا غاندي ، الى الحكم في العام الماضي .

* *

---

[٦] شرحنا تطور الحوار العربي الاوروبي والجانب السياسي بشيء من التفصيل في كتابينا : « الحوار العربي الاوروبي – وجهة نظر عربية ووثائق » (القاهرة : الشركة المتحدة للتوزيع ، ١٩٧٦) ؛ « منظمة التحرير الفلسطينية والحوار العربي الاوروبي : دراسة في الجانب السياسي من الحوار ووثائق » (بيروت : مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٩) .

ننتقل الى البعد الاسرائيلي في الصراع ، ونوجز حصيلة ما شهدته السبعينات على هذا الصعيد .

لقد جاءت حرب رمضان لتكون تجربة جديدة على التجمع الاسرائيلي ، بما تضمنته من جديد على صعيد اتخاذ القرار ، وعلى صعيد المبادرة في الهجوم ، وعلى صعيد مجريات المعركة . ومع ذلك ، بقي توجه التجمع الاسرائيلي في محصلته على ما هو عليه بعد الحرب . وبقي الهدف الصهيوني كما هو . وازدادت نزعات التطرف في اوساط الاسرائيليين حتى اوصلت تجمع ليكود الى الحكم عام ١٩٧٧ ، وأبرزت جماعة غوش ايمونيم كجماعة مؤثرة في سياسة التوسع الاسرائيلية . وشهد التجمع في الوقت نفسه بروز جماعات تنادي بوقف التوسع مقابل السلام ، ولكن تأثير هذه الجماعات على الحكم في اسرائيل بقي ضئيلا للغاية . وعمل الحكم الاسرائيلي ، من خلال اعتماده التطرف والتشدد ، على فرض التسوية التي يريدها والتي تحفظ له السيطرة على الضفة الغربية وقطاع غزة . واعتمد في محاولته النجاح في هذه السياسة ، على ربط الموقف الاميركي بموقفه ، وركز على دفع الولايات المتحدة للانفراد في التحرك لبلوغ التسوية مبعدا الاتحاد السوفياتي . كما ركز على عزل مصر واخراجها من الصراع العربي – الاسرائيلي . ونشط في عملية الاستيطان في الضفة الغربية وفي تغيير معالم القدس . كما لجأ الى المغالاة في سياسة القمع التي ينتهجها ضد الشعب الفلسطيني في الوطن المحتل . وتابع محاولاته لتهجير مزيد من يهود الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل . واستمر في موقفه المنكر لوجود شعب فلسطين وللقضاء على منظمة التحرير الفلسطينية . واستهدف لبنان مصعدا عملياته في الجنوب اللبناني .

ولعل من اهم ما يمكن تسجيله على البعد الاسرائيلي في الصراع كما وصل في نهاية السبعينات ، ما يلي :

– نجحت اسرائيل في التوصل الى ابرام معاهدة سلام مع مصر عام ١٩٧٩ .

– عانت اسرائيل من عزلة دولية ازدادت شدة منذ مجيء حكومة ليكود وبفعل مواقف هذه الحكومة اثناء المفاوضات المصرية – الاميركية – الاسرائيلية حول الحكم الذاتي للفلسطينيين في الضفة والقطاع .

– حدث خلال السبعينات اختلال في التطابق بين مواقف الحكومة الاسرائيلية ومواقف التجمعات اليهودية في اوروبا الغربية والولايات المتحدة الاميركية . وبدأت

بعض اوساط هذه التجمعات في محاولات للتأثير على المواقف الاسرائيلية بما ينسجم مع مصالحها في الدول التي تعيش فيها .

– بدأت الخلافات داخل التجمع الاسرائيلي تأخذ شكلا اكثر حدة على تزايد النزوع الى التطرف وبروز قوى تنادي بالسلام .

– بدأت العلاقات الاميركية – الاسرائيلية ، بعد اتفاقيات كامب ديفيد على الخصوص ، مرحلة جديدة برزت فيها تعارضات نابعة من اختلاف الاساليب بين طرفي العلاقة ومن مستلزمات المصالح الاميركية في المنطقة والعلاقات الاميركية – العربية .[7]

* *

نأتي الى **البعد العربي** في الصراع ، ونوجز ما شهدته السبعينات على هذا الصعيد .

كانت السبعينات حافلة بالاحداث المتصلة بالصراع . بدأت بمعاناة أحداث ايلول (سبتمبر) . وتتالت هذه المعاناة مع **اشتداد الصراع داخل الوطن العربي بين عرب وعرب** . وقد تعددت بؤر التوتر والانفجار في الوطن العربي ، وقامت عدة حروب عربية عربية ، بعد حرب رمضان على الخصوص . وكانت حرب رمضان قد اظهرت امكانيات الموقف العربي الواحد الكبيرة في حالة حشدها وتوظيفها في الصراع . ولكن السنوات التي تلت ابرزت عجز الكيانات العربية عن توجيه ارادتها وصياغة الارادة العربية المشتركة .

وشهدت السبعينات حدوث **تحولات هامة** في البلاد العربية ، على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي ، كانت سببا في حدوث جيشان في الاوضاع الداخلية لكل قطر وأسهمت في الصراع العربي العربي . وافتقد العمل العربي الموحّد وجود الزعامة العربية الواحدة او وجود المؤسسة التي تحل محلها . وتنامت الثروات في البلاد النفطية بعد ارتفاع اسعار النفط منذ ١٩٧٣ .

---

[7] فصلنا شرح آثار حرب رمضان على التجمع الاسرائيلي والاتجاهات الاسرائيلية بعد الحرب في كتاب « ماذا بعد حرب رمضان » . يراجع بشأن بروز غوش ايمونيم والسلام الآن بحث يائيل يشاع ، « المجموعات المؤثرة في السياسة الخارجية في اسرائيل » المقدم لمؤتمر IPSA ١٩٧٩ .

استطاعت الدول العربية ان تصوغ موقفا موحدا من الصراع لم يبلغ حد الاجماع في حرب ١٩٧٣ ، ولكن سرعان ما انتثرت حبات عقد هذا الموقف . واعترفت الدول العربية عام ١٩٧٤ بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا لشعب فلسطين . وانشغلت منذ عام ١٩٧٥ بالازمة اللبنانية ، التي ما ان خفت حدتها حتى جاءت زيارة رئيس جمهورية مصر الى القدس المحتلة في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٧ . وهكذا انشغلت الدول العربية بالتصدي لهذا الانفراد ومعالجة ما نجم عنه من آثار . وقد استطاعت في اعقاب توقيع مصر لاتفاق كامب ديفيد مع اسرائيل والولايات المتحدة ، ان تصوغ موقفا عربيا موحدا في مؤتمر القمة التاسع ببغداد (تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٨) ، اكدت فيه التزامها بقرارات الامم المتحدة في تسوية الصراع العربي – الاسرائيلي ، وجمدت عضوية مصر في الجامعة العربية ، ونقلت مقر هذه الجامعة الى تونس .

يمكننا ان نلاحظ ايضا ، فيما يخص هذا البعد في الصراع ، ان المنطقة العربية شهدت حركة إحياء روحي بدت تباشيرها منذ نكسة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وتنامت في السبعينات ، وبلغت مداها بعد نجاح الثورة الاسلامية في ايران عام ١٩٧٩ . وقد عبرت هذه الحركة عن موقف حضاري يرفض الاستغراب والتحديث على الطريقة الغربية ، وحكمت بفشله . كما مثلت تطورا في المفهوم القومي الذي ساد خلال العقدين السابقين ، اضاف اليه بعد الاخوة الروحية ضمن دائرة الحضارة العربية الاسلامية . وقد هيأ هذا التطور فرصة سانحة لاقامة علاقات صحيحة بين منطقة الوطن العربي وبين جاراتها التي تمثل عمق هذا الوطن . ونلاحظ ان ايران وتركيا تشهدان الظاهرة نفسها . كذلك نلاحظ ان العداء الموجه الى الولايات المتحدة في المنطقة يتزايد مع وجود نزعة قوية لاستعادة الهوية الثقافية ترجع بالمنطقة الى اصولها وتقرن بين الاصالة والتجديد . ونلاحظ ان أطراف منطقة الوطن العربي اصبحت مراكز لبؤر توتر شديد في الصراع الدولي ، وعلى الخصوص في القرن الافريقي وبحر العرب القريب من افغانستان ، الامر الذي جعل بحر العرب والمحيط الهندي ساحة مواجهة في هذا الصراع .[٨]

* *

[٨] شرحنا العلاقات العربية العربية في كتابنا : « العرب وتحديات المستقبل » (القاهرة : الشركة المتحدة للتوزيع ، ١٩٧٦) ، وفيه مقال « الصراع بين عرب وعرب » .

نصل بعد استحضار أبعاد الصراع كما بدت في السبعينات ، الى الاجابة عن السؤال الذي طرحناه حول مسيرة الشعب الفلسطيني في اطار ثورته خلال العقد الماضي ، وحول موقف منظمة التحرير الفلسطينية اليوم وهي تستقبل الثمانينات .

لقد تفاعلت منظمة التحرير مع الاحداث التي عاشتها المنطقة فأثرت فيها الى حد ليس بالقليل ، وتأثرت بها الى حد ليس بالقليل . وشقت طريقها وسط هذه الاحداث . وتابعت النضال في داخل الوطن المحتل وخارجه . وحققت نتائج هامة . وتوزع جهد المنظمة بين توجيه الضربات للعدو الصهيوني على الصعيدين العسكري والسياسي وتحقيق تقدم على طريق التحرير ، وبين حماية نفسها من الضربات التي توجه اليها . وقد خرجت من المعارك المتصلة التي خاضتها اشد قوة وصلابة .

يمكننا ان نشير بايجاز الى اهم ما نراه في تحرك المنظمة خلال السبعينات ، ونميز بين **ثلاث مراحل** عبرها هذا التحرك .

– بدأت السبعينات بأزمة ايلول (سبتمبر) في الاردن ، وعانت الثورة منها ما عانت . ولكنها ما لبثت ان خرجت من هذه المعاناة وتابعت نضالها . ونجحت المنظمة في مطلع السبعينات **في استكمال هدف اساسي لها وهو تلاحم شعبها الفلسطيني بها** ، فأصبحت الممثل الحقيقي الوحيد لهذا الشعب . واستقرت مؤسساتها على ارض صلبة من الشورى والديمقراطية ، وتحقق في هذه المؤسسات حد ادنى من الوحدة الوطنية بين فصائل المقاومة . وهكذا اختتمت المنظمة مرحلة اولى هامة في نضالها .

– كذلك نجحت المنظمة عام ١٩٧٤ **في استكمال هدف اساسي آخر لها وهو اعتراف الدول العربية بها ممثلا شرعيا لشعب فلسطين** . وقد اتخذ هذا الاعتراف صفة العضوية الكاملة في جامعة الدول العربية عام ١٩٧٧ . وكان ذلك تعبيرا عن استكمال تأييد امتها العربية لها . وهكذا اختتمت المنظمة مرحلة اخرى هامة في نضالها .

– وغذت منظمة التحرير السير في اعقاب حرب ١٩٧٣ للحصول على **اعتراف العالم بها وبالحقوق الوطنية الثابتة لشعب فلسطين** . وكانت بعض الفصائل قد وجهت جزءا من نشاطها لعمليات في الساحة الدولية ضد أهداف صهيونية لفتت الانظار الى المشكلة . كما وجهت المنظمة جزءا من نشاطها السياسي للنفاذ في بعض مجالات الساحة الدولية . وهكذا دخلت المنظمة المرحلة الثالثة الحاسمة في نضالها التي تصل بها الى حصولها

على الشرعية الدولية ، ومن ثم بلوغ أهدافها .

*

اعطت المنظمة اهتماما خاصا **للكفاح المسلح** ضد العدو الصهيوني داخل فلسطين المحتلة . وقد اتخذ هذا الكفاح المسلح صورة عمليات عسكرية تقوم بها المقاومة الشعبية في الداخل ، وصورة عمليات عسكرية توجه الى الداخل من قواعد الثورة في الخارج . ونلاحظ ان المقاومة المسلحة حققت تصاعدا يلفت النظر وتطويرا في اساليبها في قطاع غزة والضفة الغربية أوائل السبعينات ، الامر الذي دفع العدو الى مضاعفة جهوده للقضاء عليها . واستمرت هذه المقاومة ، على الرغم من ذلك ، ضمن حد معين في القطاع وفي الضفة الغربية وسط ظروف بالغة الصعوبة ، وعلى الرغم من كل وسائل القمع الاسرائيلي . وما زالت مستمرة تقدم صورا من بطولات شعب فلسطين .

كذلك تتابعت عمليات المقاومة الموجهة من خارج فلسطين وتنوعت . وقامت بدورها مع عمليات الداخل خلال حرب رمضان . وطرحت في بعض الاحيان نماذج متطورة تجلت فيها بطولات شعب فلسطين .

بقي معدل عمليات الكفاح المسلح خلال السبعينات محافظا على مستوى معين لا يتجاوزه . ولم يصل هذا المعدل الى حد يغير من طابع المواجهة مع العدو . وكانت جل الجبهات العربية مغلقة امام هذه العمليات . كما لم تستطع المقاومة المسلحة بناء قواعد ثابتة لها في الداخل . وبقيت هناك نسبة من العمليات يجري كشفها قبل ان تنفذ . ونمت قوة المنظمة على الصعيد العسكري نموا لا بأس به . واستوعبت بعض الاسلحة المتطورة ، ولكن هذا التطور والنمو بقي محدودا . وعانت قوة المنظمة العسكرية من بعض اوضاع جيش التحرير ومن تعدد الفصائل .

وخاضت المنظمة معارك دفاعية في مواجهة محاولات العدو تصفية وجودها في لبنان . وكانت اشد هذه المعارك ضراوة ما سمي **بحرب الايام الثمانية في آذار (مارس)** ١٩٧٨ . وقد خرجت المنظمة من هذه المعارك اكثر قوة .

وأُجبرت المنظمة على دخول معارك مع أطراف عربية خلال وجودها في لبنان منذ عام ١٩٦٩ . فكان هناك اشتباك عام ١٩٧٣ . ثم جاءت الازمة اللبنانية التي استمرت سنتين بين عامي ١٩٧٥ — ١٩٧٧ . وقد اثرت هذه المعارك على الكفاح المسلح داخل

الوطن المحتل تأثيرا سلبيا .

اهتمت المنظمة خلال هذا العقد **بتصعيد نضالها السياسي داخل فلسطين المحتلة وخارجها** . وبذلت في هذا النضال جهودا كبيرة . ونجحت المنظمة من خلاله في تحقيق نتائج هامة .

فعلى صعيد الوطن المحتل ، استمرت المقاومة الشعبية للاحتلال . وتجلت في الانتخابات البلدية حيث فاز مرشحو المنظمة . وخاضت قيادات الداخل معارك سياسية متصلة كان لها دور في لفت انظار العالم . وبلغ النضال السياسي احدى ذراه في انتفاضة يوم الارض في الجليل عام ١٩٧٦ . واتجهت قيادات فلسطينيي المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ الى الالتحام بمنظمة التحرير . **وأصبحت المنظمة بحق الممثل الوحيد لشعب فلسطين** . ودللت مجموعة اختبارات على صدق هذه المقولة . وكان من آخر هذه الاختبارات محاولات اشراك فلسطينيي الضفة والقطاع في مفاوضات الحكم الذاتي ضمن اطار كامب ديفيد ، وقد فشلت هذه المحاولات فشلا ذريعا .

وعلى صعيد شعب فلسطين في اماكن تجمعه المختلفة ، نجحت المنظمة في التواصل مع ابناء فلسطين ، وفي حشد جانب من طاقاتهم تناسب مع الظروف المحيطة بهم . ونظمت قطاعات منهم على الصعيد المهني . وبقيت قطاعات اخرى تفتقر الى التنظيم الشعبي . وبنت عددا من المؤسسات الخاصة بهم . وتولت رعاية بعض نشاطاتهم في بعض اماكن التجمع . وأصبحت على الصعيد المعنوي المسؤول عن كل فلسطيني ، وعلى الصعيد المادي مسؤولة عن قطاع منهم . وتجاوزت اهتماماتها الجانبين العسكري والسياسي الى الجوانب الاقتصادية والثقافية والتربوية والاجتماعية والصحية .

واستقر **بناء المنظمة الدستوري على اساس راسخ من خلال الممارسة في ظل المؤسسات الدستورية** . وانتظمت العلاقة بين المجلس الوطني والمجلس المركزي واللجنة التنفيذية والدوائر والجيش والفصائل . كما تحددت صيغة العلاقات بين الفصائل على ارض المنظمة . وتبلورت الى حد ليس بالقليل **طريقة صنع القرار** . وقدمت هذه الممارسة بمجملها تجربة **ديمقراطية شورية تستحق التقدير** .

كان من اهم ما فعلته المنظمة خلال السبعينات هو طرحها **لبرنامج سياسي حددت فيه أهدافها وطرحت أفكارا واضحة لكيفية تحركها** على طريق بلوغ هذه الاهداف . وقد طرحت المنظمة عام ١٩٦٩ **صيغة الدولة الديمقراطية في فلسطين** التي يعيش فيها

اليهود والمسيحيون والمسلمون مواطنين متساويين ، كحل عادل للصراع . وفي عام ١٩٧٤ **طرحت فكرة السلطة الوطنية على اي** جزء من فلسطين يتحرر ضمن برنامج النقاط العشر . ثم طرحت عام ١٩٧٧ فكرة **قيام دولة فلسطينية على اي جزء** من فلسطين ينسحب منه العدو . وحددت الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني : حقه في العودة وفي تقرير المصير وفي اقامة الدولة المستقلة ذات السيادة . وقد ابرز خطاب رئيس المنظمة في الامم المتحدة هذه الافكار ، فتحدث عن الحلم الفلسطيني بدولة فلسطين الديمقراطية . ورحب بأن يعيش اليهود الموجودون على ارض فلسطين مع العرب بسلام بعد ان ينبذوا العدوان . وطرحت **فكرة اقامة حكومة فلسطينية في المنفى** عدة مرات خلال السبعينات ، ولكن المنظمة لم تستجب لها مقدرة ان الشروط اللازمة لاقامتها لم تستكمل بعد .

قاوم الكيان الصهيوني فكرة الدولة الديمقراطية في فلسطين مقاومة شديدة ، واعتبرها تستهدف تقويض دولة اسرائيل . تماما كما قاوم فكرة اقامة دولة فلسطينية على جزء من فلسطين ، واعتبرها تهديدا لامن اسرائيل والنقيض لدولة اسرائيل . ولكن طرح المنظمة للفكرة الثانية لاقى تجاوبا في قطاعات من الرأي العام العالمي وفي دول كثيرة ، ومهد لاقامة علاقات بين المنظمة وبين هذه القطاعات والدول . وقد رحبت غالبية الدول العربية بأفكار المنظمة ، ولكن بعض هذه الدول تحفظ على هذه الافكار ، ولم يقبل بفكرة اقامة دولة فلسطينية على جزء من فلسطين ، حتى انعقد مؤتمر بغداد واتخذ قرارا بهذا الشأن ضمن تصوره للحل العادي الشامل ، فزال التحفظ على الصعيد الرسمي .[٩]

اوصلت السبعينات الى طرح مجموعة اسئلة تتعلق بالبرنامج الوطني للمنظمة ، وعلى الخصوص بهدف المرحلة الراهنة وصلته بالهدف النهائي . خصوصا بعد ان ادى ابرام اتفاق كامب ديفيد وما اقترن به من ممارسات صهيونية في الوطن المحتل الى نزوع الى التشدد في بعض اوساط الساحة الفلسطينية والساحة العربية عموما ، والى احساس بعدم جدوى « الواقعية العملية » ، وضرورة الوصول الى الهدف النهائي . وقد تجلى

---

[٩] هناك مجموعة مقالات تعرض لتحرك المنظمة على الصعيد الفلسطيني في سلسلة أعداد مجلة « شؤون فلسطينية » التي تصدر عن مركز الابحاث الفلسطينية . وتتضمن هذه الاعداد ثبتا بالعمليات الفدائية .

ذلك بوضوح في مؤتمر حركة «فتح» ، كبرى التنظيمات الفلسطينية ، الاخير .

من هذه الاسئلة المطروحة :

ماذا يجب ان يتضمن برنامجنا الوطني ونحن على أبواب الثمانينات ؟

هل يمكن ميزان القوى الراهن من تحقيق هدف اقامة دولة فلسطين الديمقراطية من خلال تسوية سياسية ؟

هل نقبل باقامة دولة على جزء من التراب الفلسطيني إنْ تمكن ميزان القوى الراهن من فرض انسحاب اسرائيل من هذا الجزء ؟

هل تكون اقامة هذه الدولة خطوة على طريق بلوغ الهدف النهائي ام عقبة في طريق بلوغه ؟

ما هي الشروط التي يمكن بها ان نقبل اقامة دولة فلسطين على جزء من التراب ؟

ما هو موقفنا من النشاط السياسي إنْ كان ميزان القوى الراهن لا يصل بنا الى الحد الادنى الذي نتطلع اليه ؟ هل نحد منه ونوحد طاقاتنا للعمل العسكري ؟ هل نجعل الهدف منه التمهيد للحسم العسكري ؟

كيف نصعد عملنا العسكري داخل الوطن المحتل ؟ وكيف نعد للحرب العربية - الاسرائيلية القادمة ؟

*

تحركت المنظمة بنشاط على **الصعيد العربي** ، واهتمت بعلاقاتها العربية مستشعرة بعمق حقيقة كونها جزءا من الدائرة العربية . وتميزت هذه العلاقات **بالتداخل** النابع من وجود **ارتباط عضوي** بين الجسم الفلسطيني والدول العربية ، من خلال ثقل الوجود الفلسطيني في بعض هذه الدول المجاورة لفلسطين وفي الجزيرة العربية ، ووجود ارتباط عضوي بين فصائل الثورة والمؤسسات الحاكمة في هذه الدول . الامر الذي جعل **صورة هذه العلاقات تبدو غاية في التعقيد والتشوش احيانا** . ويمكننا ان نستخلص **الخطوط الرئيسية** التي ترسم هذه الصورة إنْ امعنا النظر فيها .

- حرصت المنظمة على الحفاظ على **دائرة خاصة بها تعبر فيها عن استقلالها** . وقاتلت قيادة المنظمة حفاظا على هذه الدائرة التي بدت صغيرة على العموم ، وكانت تتسع وتضيق احيانا بحسب الظروف . وجاء هذا الحرص تعبيرا عن تمسكها بسياسة

استقلال القرار الفلسطيني .

– تمسكت المنظمة جهد المستطاع بسياستها القائلة بعدم التدخل في الامور الداخلية للدول العربية ، وهي سياسة تنسجم مع سياسة استقلال القرار الفلسطيني . وكانت تعمد الى التدخل كرد على التدخل في ما تعتبره تدخلا في ساحتها الفلسطينية ومساسا بدائرة استقلالها .

– حاولت المنظمة جهدها ان توفق بين ارتباطاتها الرسمية مع الدول العربية وصفتها كمنظمة رسمية تتعامل مع هذه الدول ، وبين علاقاتها الشعبية وتفاعلاتها مع قوى التغيير في هذه الدول وصفتها كمنظمة ثورية تقود ثورة شعبية هي قبلة انظار الثوار العرب . ولم تكن المحاولة سهلة **أبدا في عملية الجمع بين ما اصطلح على تسميته بالعمل العربي الموحد والعمل العربي الثوري** . ومع ان المحاولة نجحت الى حد ما إلا انها **سببت سوء فهم في الدول العربية وفي اوساط المنظمة على السواء** . ولم تبذل الجهود اللازمة لازالة سوء الفهم هذا **بشرح طبيعة العلاقات على ضوء طبيعة تكوين أطرافها** .

– تحركت قيادة المنظمة بين مختلف أطراف الدائرة العربية ، وأقامت علاقات ثنائية معها ، وشاركت في تحالفاتها المختلفة والمتعارضة احيانا ، ودخلت كوسيط في النزاعات التي تقوم بين بعض هذه الاطراف . وقد حكمها في تحركها هذا ادراك بأهمية المبادرة والفعل ، واستشعار لدورها المعنوي كثورة ، ووعي بمدى تأثرها بالاحداث العربية المحيطة ، واحساس بقيمة عمقها العربي ، وحرص على عدم وقوعها اسيرة اية صيغة تفقدها استقلال القرار الفلسطيني .

حين ننظر في **حصيلة علاقات المنظمة على الصعيد العربي خلال السبعينات** ، نرى ان قيادة المنظمة نجحت في **احتلال مكان هام من الصورة العربية** . ونجحت حسب وجهة نظر بعض المراقبين ، في الخروج من مآزق صعبة حُصرت فيها ، فاستمرت بفعالية تؤثر في الدائرة العربية . ونلاحظ ان علاقاتها ساءت وتوترت مع عدد من الدول العربية واحدة بعد الاخرى ، ولكنها لم تصل قط الى طريق مسدود ، بل عادت وانفرجت ثم تحسنت من جديد . ونلاحظ ان **علاقات خاصة** ربطتها بدول عربية بعينها بحكم الجغرافيا احيانا ، وبحكم الظروف السياسية المحيطة احيانا اخرى . ويلاحظ بعض المراقبين **ان قيادة المنظمة لم تكن طوبائية في نظرتها الى العلاقات العربية فتعاملت معها بواقعية عملية « براغماتية »** . وهذا في رأيهم ما ساعدها على البقاء والاستمرار .

كما يلاحظ البعض انها لم تحرص على بناء الموقف العربي الواحد لان « الاختلاف في الساحة العربية رحمة وليس نقمة » فيما يخص النضال من اجل تحرير فلسطين في رأي هؤلاء. وقد وجد تيار قوي في قيادة المنظمة يرى غير ذلك ، ويعتقد ان بناء الموقف العربي الواحد يقوي المنظمة ويمكنها من القيام بدورها في قيادته ، ويمنع الانفراد الذي تسعى اليه اسرائيل في تسوية الصراع . وأيا كان الحال ، فان السبعينات اوصلت الى طرح مجموعة اسئلة تخص علاقات المنظمة العربية ولا بد من اجابات واضحة على هذه الاسئلة .

ما مستقبل وجود المنظمة في لبنان ، وكيف تنظم العلاقة الفلسطينية اللبنانية وتقنن ؟

ما هي الصيغة العملية الامثل للعلاقة الفلسطينية الاردنية من اجل بلوغ هدف التحرير ؟

كيف تعزز العلاقة الفلسطينية السورية ؛ وكيف يتحقق الانسجام بينها وبين كل من العلاقتين السابقتين ؟

بتعبير آخر : ما هي خريطة العلاقات العربية في ما اصطلح على تسميته بسورية الكبرى ؟

كيف نعمل من اجل بناء الجبهة الشمالية الشرقية ؟ وما هو الدور الذي يمكن للعراق القيام به في النضال من اجل التحرير ؟ وكيف تعزز العلاقة الفلسطينية العراقية ؟

كيف نعمل من اجل بناء جبهة الدول النفطية في الجزيرة العربية ؟ وما هو الدور الذي يمكن لهذه الجبهة ان تقوم به في النضال من اجل التحرير ؟

ما هي رؤية المنظمة لدور العمل العربي الموحد في النضال من اجل التحرير على الصعيد العسكري وعلى صعيد العلاقات الدولية ؟

كيف نعمل فلسطينيا وعربيا لمواجهة اخطار اتفاق كامب ديفيد على مصر ، واعادة مصر الى المجموعة العربية ؟

*

كثفت المنظمة نشاطها بعد حرب رمضان عام ١٩٧٣ على الصعيد الدولي ، مدركة طبيعة المرحلة التي دخل فيها النضال الفلسطيني ، ومستشعرة اهمية البعد الدولي في حل

الصراعات ، وواعية **المكانة** التي تحتلها الثورة الفلسطينية في عالمنا كواحدة من اكبر حركات التحرير المعاصرة ، وكأولى هذه الحركات بعد انتصار فييتنام ورمز للثورة العالمية . وتحركت المنظمة على عدة صعد في النطاق الدولي . فأقامت صلات مع التنظيمات الشعبية والاحزاب في عدد من الدول ، ومع المنظمات الشعبية والدولية ، ومع الدول على صعيد ثنائي ، ومع المجموعات الدولية ، ودخلت في المنظمات الدولية المختلفة .

اصبحت المنظمة عضوا مراقبا في منظمة الامم المتحدة عام ١٩٧٤ . وبدأت تشارك ، بهذه الصفة ، في مختلف نشاطات المنظمة الدولية والمنظمات المتفرعة عنها . واذا كان قرار دخول المنظمة في الامم المتحدة قد تم بموافقة اغلبية الساحة الفلسطينية ، ووجد عند ذلك من يهاجم هذه الخطوة ، فقد اكدت التجربة العملية مدى سلامتها وأصبحت القناعة بها شاملة . وبعد ان اصبحت المنظمة عضوا مراقبا في اليونسكو ومنظمة العمل الدولية ومنظمة الصحة العالمية وغيرها ، تطلعت لكي تصبح عضوا في صندوق النقد الدولي .

انطلقت المنظمة من هذه الخطوة الى اقامة علاقات ثنائية مع العديد من الدول وافتتحت مكاتب لها فيها . وقد اعطت اهتماما لدول العالم الثالث في دوائره الاسلامية والافريقية والآسيوية وعدم الانحياز ، وأصبحت عضوا كامل العضوية في المؤتمر الاسلامي ومؤتمر عدم الانحياز ، وعضوا مراقبا في مؤتمر الوحدة الافريقية .

وقد شهدت نهاية السبعينات افتتاح مكتب للمنظمة في ايران احتل مبنى السفارة الاسرائيلية التي جرى اغلاقها بعد انتصار الثورة الاسلامية هناك ، وافتتاح مكتب للمنظمة في تركيا تبعته زيارة رسمية لرئيس اللجنة التنفيذية الى انقره . وهكذا تم طرد اسرائيل من العمق العربي في الشرق – نعني ايران – وبقي ان تطرد من العمق العربي في الشمال – نعني تركيا – وفي الجنوب – نعني اثيوبيا – ليتحقق مزيد من امن الوطن العربي ونستكمل عزلها وشلها عن العدوان .

وأعطت المنظمة اهتماما **لعلاقاتها بدول المنظومة الاشتراكية** التي يقودها الاتحاد السوفياتي . وحرصت على تقوية أواصر الصداقة مع هذه الدول . وافتتح مكتب للمنظمة في موسكو اخذ وضعا رسميا ، واستقبل رئيس المنظمة عدة مرات رسميا ، والتقى بأمين عام الحزب وكبار القادة . وحدث مثل ذلك في دول اوروبا الشرقية . وقد اعلن

الاتحاد السوفياتي تأييده للحقوق المشروعة لشعب فلسطين ، ودعا الى تطبيق سريع لقراري ٢٤٢ و ٣٣٨ الصادرين عن مجلس الامن .

وتابعت المنظمة **تعزيز علاقاتها مع الصين** التي كانت اول دولة خارجية تعترف بالمنظمة كجزء من موقف متكامل يعترف بالحق الفلسطيني .

وبذلت المنظمة جهدها **للنفاذ الى اوروبا الغربية خلال السبعينات** . وقد بعثت بمجموعة مسؤولين اعلاميين تحركوا من خلال مكاتب اعلام جامعة الدول العربية . وتحركت على صعيد التنظيمات الشعبية والحزبية ، وعلى صعيد العلاقات الثنائية الرسمية ، وعلى صعيد الحوار العربي الاوروبي الحكومي والبرلماني . واتخذت موقفا ايجابيا من فكرة الحوار العربي الاوروبي ، وعملت من خلاله على ايجاد حقائق جديدة تصل بالدول الاوروبية الى تطوير موقفها والاعتراف بالحق الفلسطيني وبالمنظمة . وقد وصلت دول المجموعة الاوروبية التسع الى الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني في بيان البندقية (حزيران / يونيو ١٩٨٠) كما سبق ان ذكرنا . وكانت النمسا من بين الدول الاوروبية الاخرى ، قد اتخذت موقفا متقدما واعترفت بالمنظمة رسميا ، ومثلها كانت اسبانيا . وقد نجحت المنظمة بالتعاون مع الدول العربية في **تطوير مواقف الدول الاوروبية** من الحقوق الفلسطينية خلال العقد الماضي . ولكن هذه **المواقف بقيت تحاول الموازنة بين هذه الحقوق وبين ما تسميه « امن اسرائيل »** . كما بقيت تتأثر الى حد كبير بالموقف الاميركي ، ولم يقدر لها ان تتجسد في اجراءات عملية بعد ، لا ولا ان تصوغ بمجموعها **دورا اوروبيا واضحا** في العمل لبلوغ التسوية العادلة .

وجابهت المنظمة على مدى السبعينات سياسة الولايات المتحدة الاميركية تجاه الصراع مجابهة شديدة . وحاولت في النصف الثاني من العقد النفاذ الى قطاعات في الشعب الاميركي للتأثير على السياسة الرسمية الاميركية . وكانت الادارة الاميركية قد اسهمت بوضوح في تدبير ازمة ايلول (سبتمبر) في الاردن عام ١٩٧٠ ، ثم في تدبير ازمة لبنان ربيع عام ١٩٧٣ ، وتولت الاجهزة الاميركية القيام بدور بالغ الخطورة في حرب السنتين تنفيذا للسياسة التي رسمها هنري كيسنجر والتي اتجهت الى فرض التسوية على مراحل ، والى إبعاد منظمة التحرير الفلسطينية ، والى رفض فكرة اقامة دولة فلسطينية . وقد عمد كيسنجر الى تقييد الحكومة الاميركية بالاتفاقيات السرية التي ابرمها مع اسرائيل وألحقها باتفاقية سيناء عام ١٩٧٥ بين مصر واسرائيل . وحين تولت ادارة الرئيس

كارتر في مطلع عام ١٩٧٧ ، تحدثت عن وطن للفلسطينيين ، ثم عن الحقوق المشروعة للفلسطينيين في البيان السوفياتي الاميركي بعد ان كانت السياسة الاميركية تتحدث عن المصالح المشروعة للفلسطينيين ، ولكن هذه الادارة اعتمدت **سياسة متذبذبة تقوم على التقدم والتراجع** . فكان ان اشارت الى حق تقرير المصير ، ثم تراجعت الى المشاركة في حق تقرير المصير ، ثم الى المشاركة في صنع مستقبلهم . وتراجعت عن البيان ، وأبرمت اتفاقيات كامب ديفيد التي جسدت هذا التراجع . واتجهت في صيف عام ١٩٧٧ الى تعديل قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، شريطة اعتراف المنظمة بالنص الخاص بضمان امن جميع دول المنطقة . ثم اتجهت في مطلع عام ١٩٧٨ الى سياسة الاجهاز على المنظمة التي عبر عنها قول بريجنسكي « مستشار الامن القومي » : « وداعا لمنظمة التحرير » . ثم لم تلبث مع فشل هذه السياسة ان اعادت النظر فيها ، وبدأت تفكر بموقف آخر . وقد بدت هذه السياسة مناقضة لشعار حقوق الانسان الذي رفعته ادارة الرئيس كارتر . وسبب تذبذبها عدم ثقة اكثر الدول العربية بها وفقدان احترامهم لها .

تصدت المنظمة لهذه السياسة بعناد شديد ، ووظفت علاقاتها العربية والدولية لمقاومتها ، ونجحت في الصمود امامها . ورفضت الاستجابة للشرط الاميركي لمباشرة الحوار معها . وقامت في الوقت نفسه بجهود تلفت النظر للنفاذ في بعض اوساط الشعب الاميركي . ووضعت نصب اعينها ان تصبح قضية فلسطين واحدة من القضايا التي تؤثر على ضميره وعلى مصالحه . ونجحت في اقامة صلات محدودة مع بعض رجال الكونغرس ، ثم مع بعض قيادات السود ، ورجالات الحركة المعادية للحرب . وقامت مؤخرا بتنظيم الجالية الفلسطينية في الولايات المتحدة والتواصل مع الجالية العربية هناك .

لقد اوصلت السبعينات الى طرح مجموعة اسئلة تتعلق بعلاقات المنظمة الدولية ، وبالسياسات الدولية في المنطقة .

هل طرأ تغير على مكان اسرائيل في الاستراتيجية الاميركية تجاه منطقة الوطن العربي بعد اتفاق كامب ديفيد ؟

هل ستغير الولايات المتحدة موقفها من منظمة التحرير الفلسطينية ؟ وهل ستعترف بالحقوق الوطنية لشعب فلسطين ؟

هل يتم التوصل الى اتفاق بشأن منطقة الوطن العربي بين الدولتين الاعظم ؟

كيف يمكن ان يطور الاتحاد السوفياتي موقفه من الحقوق الوطنية لشعب فلسطين ؟

كيف نوجه العلاقة السوفياتية – العربية والسوفياتية – الفلسطينية لفرض انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة ؟

كيف يمكن ان نوجه اوروبا الغربية للقيام بدور فعال في فرض انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة ؟

كيف نعمل لطرد اسرائيل من المنظمة الدولية ، ولفرض العقوبات عليها ، ولتمكين الامم المتحدة من تنفيذ قراراتها ؟[10]

*

لا يكمل هذا الحديث عن جهود المنظمة على شتى الصعد إلا بتطرقنا الى الصعيد الاسرائيلي اليهودي .

لم تهمل المنظمة في تحركها خلال السبعينات هذا الصعيد ، فأعطته شيئا من اهتمامها . وكان ذلك امرا جديدا في النضال الفلسطيني والعربي عامة . وقد تفاعل في الوصول اليه عاملان : اولهما هو ازدياد معرفة الثورة الفلسطينية بواقع اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ نتيجة تقدم الدراسات الفلسطينية في هذا الميدان ، ونتيجة التفاعل المباشر في ساحة الصراع داخل الاراضي المحتلة ؛ والعامل الآخر هو الثقة بالنفس التي اورثتها الثورة الفلسطينية للفلسطيني والعربي عامة ، والتي ابرزت منطق الفعل والتأثر . وهكذا اصبح النضال الفلسطيني يتتبع دقائق ما يجري داخل الكيان الاسرائيلي ، ويحاول التأثير عليه ، وكان النضال قبل ذلك يتعامل مع هذا الكيان من خلال نظرة عمومية غير دقيقة لا تثمر إلا أحكاما عامة . ولكن يمكن القول ، في الوقت نفسه ، ان المنظمة لم تعط هذا التحرك الاهتمام اللازم كله ، وتقيدت حركتها فيه برواسب المرحلة السابقة وبضغوط اسرى العموميات في الساحة العربية وبعدم الوضوح الكامل فيه .

تعرفت المنظمة على حركات الرفض الاسرائيلية التي ظهرت أواخر الستينات كماتسبن ، واحتكت بفلسطينيي الاراضي المحتلة عام ١٩٤٨ لاول مرة – وهم جزء من

---

[10] تراجع « شؤون فلسطينية » للتوسع في التحرك الفلسطيني على الصعيدين العربي والدولي . وكذلك مجلة « دراسات فلسطينية » (*Journal of Palestine Studies*) التي تصدر بالانكليزية عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية .

الشعب الفلسطيني انقطع التواصل معه بين عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧ – وأوصلها ذلك الاحتكاك الى التعرف على حزب راكح الشيوعي الاسرائيلي الذي يضم عددا هاما من هؤلاء الفلسطينيين ، ثم الى التفاعل معه . كما تعرفت المنظمة على مواقف أفراد اسرائيليين يرفضون التوسع الصهيوني ، ومواقف آخرين يقلقهم الارهاب الصهيوني الموجه لعرب فلسطين . ودرست المنظمة بعناية برامج الاحزاب الاسرائيلية ، وحددت مواقع كل منها .

كذلك التقت المنظمة خلال تحركها على الساحة الدولية بعناصر يهودية تقدمية ترفض الصهيونية كليا او جزئيا ، وتدعو الى وقف التوسع الصهيوني ووقف الارهاب الصهيوني الموجه لعرب فلسطين . ودرست المنظمة دراسة اولية طبيعة تكون التجمعات اليهودية في الولايات المتحدة وأوروبا الغربية والشرقية ، والعوامل التي تؤثر في توجهاتها ، وأقامت علاقات مع العناصر التقدمية فيها .

وانطلقت المنظمة من تفريقها بين الصهيونية واليهودية الى اتخاذ موقف ينادي بالحوار مع القوى التقدمية اليهودية ، والتعاون معها في مواجهة الاطماع الصهيونية . كما اتخذت موقفا واضحا يؤيد بقوة حق اليهود في العيش على قدم المساواة في اوطانهم مع مواطنين ، بما في ذلك يهود الوطن العربي.[11] ورحب خطاب فلسطين في الامم المتحدة عام ١٩٧٤ بأن يعيش اليهود في فلسطين مع شعب فلسطين بسلام بعد ان ينبذوا العنصرية الصهيونية . ثم قرر المجلس الوطني الفلسطيني عام ١٩٧٧ التوجه للحوار مع القوى التقدمية اليهودية . وقامت منظمة التحرير باللقاء مع حزب راكح باعتباره منكرا للصهيونية . وشهدت السبعينات دخول أفراد اسرائيليين في منظمات الثورة ، ومشاركتهم في بعض العمليات . كما شهدت توجه عدد من القيادات الاسرائيلية المعارضة للحوار مع المنظمة . وقد جابهت الاحزاب الصهيونية هذا التوجه بشدة تلفت النظر ، كما قاومت هذا التوجه في التجمعات اليهودية في العالم .

وعلى الرغم من ان تحرك المنظمة على هذا الصعيد اوصل الى نتائج اولية هامة ،

---

[11] سعت المنظمة مع عدد من الدول العربية لاصدار اعلانات من هذه الدول تؤكد حق المواطنين اليهود الذين هاجروا منها في العودة . كما سعت لرفع اية اجراءات استثنائية طبقت عليهم بسبب الصراع ، ونجحت في ذلك الى حد كبير .

وبدت فيه القوى الاسرائيلية الصهيونية في موقع الدفاع والعزلة وهي ترفض الاعتراف بوجود منظمة التحرير ، فان حركة المنظمة في هذا المجال لم تأخذ مداها ، وقيدتها فكرة رفض الحوار مع اليهود التي سادت في مرحلة النضال السابقة ، وظهرت آنذاك كموقف دفاعي امام الهجمة الصهيونية ، وضغوط اسرى العموميات في الساحة العربية الذين بقوا يعيشون في ظل تلك المرحلة ولم ينتقلوا الى المرحلة الجديدة في فهم الغزوة الصهيونية والتعامل معها . وأساء الى هذه الحركة احيانا عدم الوضوح والاقدام على خطوات لم يتم بحثها بشكل كاف ، الامر الذي ترك مجالا للتخوف والتحسب .

كانت اهم النتائج التي حققها هذا التحرك هو اسهامه في تفجير التناقضات داخل الكيان الاسرائيلي في الاتجاه المعادي للصهيونية ، واسهامه في الاخلال في التطابق بين الحركة الصهيونية وتجمعات اليهود في عالمنا . ومن المؤشرات التي تلفت النظر ان عددا متزايدا من اليهود ، داخل اسرائيل وخارجها ، بدأوا يرفضون الصهيونية ، وأن عددا آخر منهم ممن لا يزال يعتنق الصهيونية يحاول ان يطرح لها مفهوما جديدا يزاوج بين اعتقاده انها حركة احياء يهودية وبين رفضه لممارساتها العنصرية .

لقد اوصلت السبعينات الى طرح مجموعة اسئلة تتعلق بتحرك المنظمة على صعيد يهود العالم واليهود الاسرائيليين .

كيف تصعد المنظمة مقاومتها المسلحة للاستيطان الصهيوني الذي اجمع العالم على إدانته ؟

كيف تحاصر المنظمة غلاة الصهيونية الاسرائيليين وغير الاسرائيليين ؟

كيف تغذي المنظمة الاتجاهات اليهودية المعادية للاستيطان والحرب والقمع ؟

كيف تتحرك المنظمة في اتجاه اليهود العرب ، ومن بينهم يهود فلسطين العرب ؟

كيف تتحرك المنظمة في اتجاه دعاة الصهيونية الجديدة الذين يحاولون طرح مفهوم جديد للصهيونية يرفض التوسع والممارسات العنصرية ؟

كيف تتحرك المنظمة بين تجمعات يهود الولايات المتحدة وأوروبا الغربية وأوروبا الشرقية ؟

كيف تنظم المنظمة الحوار مع القوى التقدمية اليهودية ؟

*

ان نظرة على حصيلة جهود المنظمة في السبعينات ، تبين انها اوصلت الى نتائج

هامة جدا على صعيد بناء الكيان الفلسطيني وممارسة الكفاح المسلح واقامة شبكة واسعة من العلاقات على الصعيدين العربي والدولي. وقد اجلنا الاستشهاد بما قاله الاستاذ يوسف تشايتس، احد ابرز خبراء العدو في الشؤون العربية، حول المنظمة في مجلة «آفاق اسرائيلية» (*Israel Horizons*) لنختم به هذا الحديث:

«حين نتحدث عن منظمة التحرير الفلسطينية لا نحكي عن قوة عددية؛ فمن ناحية مدنية هناك شعب عدده ثلاثة ملايين نسمة او اكثر يضم مخيمات لاجئين وبورجوازيين بين اصحاب مهن حرة ونسبة كبيرة من ذوي الكفاءات العالية. وهناك، من ناحية عسكرية، عديد من المنظمات اكبرها وأقواها فتح، تضم آلافا من الرجال المسلحين.

«تتمتع المنظمة بمكانة مرموقة في الدول العربية. فهي تحظى بالتأييد الشعبي. وليس هناك ممثل للشعب الفلسطيني سواها. وليس ثمة شك، على الصعيد الدبلوماسي، في ان منظمة التحرير افضل حالا من اسرائيل. فعدد الدول التي اعترفت بمنظمة التحرير الفلسطينية يزيد عن عدد الدول التي تعترف باسرائيل. وللمنظمة ممثلون في الدول الغربية والشرقية.

«تعتبر منظمة التحرير نفسها اكثر المؤسسات ديمقراطية في العالم العربي. وانصافا للحقيقة يمكن القول انه لا توجد هناك دولة عربية واحدة توجد فيها اجراءات ديمقراطية الى ذلك الحد.»[١٢]

ذلك هو حديث الحاضر والماضي عن مسيرة الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية في خضم الصراع العربي – الصهيوني على مدى السبعينات. ومن خلاله تعرفنا على مختلف جوانب صورة الحاضر وحللناها، ورسمنا مجرى الاحداث كما تتالت فيما اصبح ماضيا، وطرحنا اسئلة محددة تتضمن الاجابة عليها رؤانا المستقبلية لهذه المسيرة في الثمانينات. وذلك هو حديث المستقبل.

* * *

[١٢] مجلة «آفاق اسرائيلية» (*Israel Horizons*)، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٩، مقابلة مع البروفيسور تشايتس.

نعود الى السؤال المطروح :

ماذا نرى في آفاق الصراع العربي – الاسرائيلي خلال الثمانينات ؟

وكيف ستكون مسيرة الشعب الفلسطيني وسط امته العربية ، وهو يناضل من اجل تحرير وطنه في هذا العقد من السنين ؟

اول ما نراه هو استمرار الصراع الذي سيحتدم احيانا ، وسيحكم سير الاحداث في المنطقة لفترة اخرى . فواضح ان اسبابه ما زالت قائمة بعد ابرام اتفاقيات كامب ديفيد التي لم تعالج قضية فلسطين جوهر الصراع . وواضح ايضا ان المناخ الدولي كما يبدو في مطلع الثمانينات ، سيساعد على النفخ في أواره ، اذ ان من المتوقع – كما سجل مركز ابحاث الصراع في واشنطن ومؤسسة راند في كاليفورنيا – « ان الحروب المحلية سوف تزداد كثافة في الثمانينات ، وأن منطقة الشرق الاوسط والمحيط الهندي اصبحت ، بعد اندلاع الثورة الايرانية ، المنطقة الاشد خطورة بالنسبة الى الولايات المتحدة ، على الصعيدين السياسي والعسكري . »[١٣] ويلفت النظر ان الصراع حكم عالمنا بشكل حاد خلال هذا القرن ، واتخذ أبعادا خطيرة لم تعرفها العصور الماضية . ومنذ الحرب العالمية الثانية ازدادت معاناة العالم الثالث من الصراع حيث تفجرت فيه نحو « مائة وخمس وعشرين حربا زاد عدد ضحاياها على ضحايا الحرب العالمية الثانية . وكان نصيب الشرق الادنى من الاسلحة المستوردة « المتطورة الفتاكة » ٣٠٪ من مجمل تجارة السلاح . »[١٤]

علينا ، اذن ، ان نوطن انفسنا على استمرار الصراع واحتدامه ، ونهيىء انفسنا لمتطلباته ، ونخوضه على شتى الصعد ، فذلك هو قدرنا ، وذلك هو السبيل الوحيد لبلوغ السلام العادل .

ان استمرار الصراع واحتدامه سيفرض استمرار الانشغال به على الصعيد الدولي ، لما لمنطقة الوطن العربي من اهمية في الاستراتيجية العالمية ، ولما للصراع من تأثير على

---

[١٣] جون كولي ، « الخطوط العريضة للسياسة الاميركية في الثمانينات » ، « كريستيان ساينس مونيتور » *(Christian Science Monitor)* ١٩٨٠/١/١٥ ، ترجمة مركز التخطيط .

[١٤] « النهار » ، ١٩٨٠/٦/١ عن نشرة *(Wim News)* المجلدة ، رقم ٤ ، خريف ١٩٧٩ ، محررتها فرانز هوسكن .

الامن العالمي. وهذا الانشغال يعني استمرار المساعي الدولية للتوصل الى حل شامل، ومتابعة محاولات اقامة سلام في المنطقة. ومن هنا، **فان من المتوقع ان تتداخل في الصراع العربي - الاسرائيلي جهود حرب وجهود سلام، استمرارا لما حدث في السبعينات. فعلينا من ثم، ونحن نخوض الصراع على شتى الصعد، ان نعتمد استراتيجية تتقن التحرك بين الحرب والسلام، وتجمع بين العمل العسكري والعمل السياسي انطلاقا من حقيقة ان الحرب هي سياسة بوسائل اخرى.**

ان رؤيتنا لما سيكون عليه الحال في ظل هذا الصراع تقوم على إدراك ان حديث المستقبل يجمع بين التوقع والفعل. ذلك ان ما سيقع من أحداث هو ثمرة تأثير ارادة الفعل على مجرى الاحداث. ومهمتنا في حديث المستقبل، وقد تعرفنا على هذا المجرى، ان نبحث في كيفية التأثير عليه. وواضح انه بقدر ما يكون عزم ارادة الفعل وتكون قوة الفعل، بقدر ما يكون التأثير. وواضح ايضا ان الفعل، عزما وقوة، يخضع ايضا للظروف المحيطة ولكيفية التعامل معها والاستجابة لتحدياتها. ومن هنا تبرز في حديث المستقبل مسألة الاحتمالات والبدائل والخيارات.

لقد كان الصراع العربي - الاسرائيلي منذ بدايته صراعا بين الامة العربية وشعب فلسطين كجزء منها من جهة، وبين الغرب الاوروبي الاميركي، والحركة الصهيونية جزء منه، من جهة اخرى. وطرأت مع استمرار الصراع على خريطة العلاقات التي تربط اسرائيل والحركة الصهيونية بالغرب، تعديلات بين حين وآخر. وشهدت السبعينات نذر تعديل هام لم يأخذ مداه بعد على صعيد علاقات دول اوروبا الغربية باسرائيل. كما شهدت بالمقابل تعديلا بالغ الخطورة في خريطة القوى التي تكون الجانب العربي، بعد ان ابرمت قيادة مصر معاهدة سلام مع اسرائيل، وأعلنت عن عزمها على عدم اللجوء الى الحرب في حل خلافات مصر واسرائيل وفي معالجة مشكلات الصراع بصورة عامة. وقد انشغلت قوى اخرى في عالمنا بالصراع بحجم متفاوت، فاكتسب اهمية دولية تجسدت في تعاظم انشغال الامم المتحدة به. ويمكننا ان نلاحظ ان تطور مجرى الصراع اوصل الى **ان تصبح المواجهة المباشرة فيه قائمة بين شعب فلسطين من جهة واسرائيل التي تحتل ارض فلسطين وتغتصب حقوق الفلسطينيين من جهة اخرى. وتقف مع شعب فلسطين دول اخرى يهددها الخطر الاسرائيلي، تتحمل معه مسؤولية مواجهة هذا الخطر وتحرير الاراضي الفلسطينية والعربية التي تحتلها اسرائيل.** ومن

المتوقع ان يقوى التركيز ، على الصعيد الدولي في الثمانينات ، على المواجهة القائمة بين شعب فلسطين واسرائيل .

تتولى منظمة التحرير الفلسطينية – الممثل الوحيد لشعب فلسطين والتي تقود ثورته – هذه المواجهة وتحشد فيها قوتها . ولو اننا نظرنا في طبيعة هذه القوة لرأيناها تجمع بين جانب مادي وآخر معنوي ، وتقترن فيها القوة العسكرية بالقوة السياسية . ومعلوم ان مفهوم القوة يقوم على التفوق العسكري بداية ، ولكن القوة العسكرية وحدها ليست كافية لبناء سياسة فعالة . اذ لا بد لها من تنمية التحالفات ، وتقوية العلاقات الدولية ، وتعزيز الموارد الاقتصادية ، واغناء القدرة على معالجة قضايا متنوعة في عالمنا .[١٥]

ان لدى منظمة التحرير الفلسطينية قوة عسكرية قابلة للنمو والتطور . وتشمل هذه القوة العسكرية : قوات فدائية ، وقوات شعبية ، وقوات نظامية . وقد نجحت المنظمة في تطوير اسلحة قواتها الى حد ليس بالقليل ، والمجال أمامها واسع لمزيد من التطوير . وهي قادرة على زيادة عدد قواتها بتجنيد أعداد جديدة من شعب فلسطين ، وباستقبال متطوعين من الامة العربية ومن الاحرار في العالم . ومن المتوقع ان تبقى الثورة الفلسطينية مركز جذب للمناضلين بما تمثله من رمز للثورة في العالم .

كذلك ، فان لدى منظمة التحرير الفلسطينية تحالفات قوية في عالمنا . وقد استطاعت ان تقوي علاقاتها الدولية . واكتسبت قيادتها قدرة على معالجة القضايا . وهي تتحرك من على الدائرة الفلسطينية في دائرة عربية وفي دائرة دولية اوسع . ولديها في تحركها أوراق يمكنها استخدامها في الدوائر الثلاث . وعلى العموم ، فان المنظمة قادرة ، في المواجهة القائمة بينها وبين اسرائيل ، على الجمع بين الكفاح المسلح والنضال السياسي ، والمزاوجة بين العمل العسكري والعمل السياسي .

ان الحاجة ملحة ، عند البحث في كيفية استخدام هذه القوة ، الى الانشغال بالتفاصيل كي نتقن هذا الاستخدام ، ولا نكون اسرى عموميات تشل قوانا او تبددها . ولا بد لنا ، من ثم ، ان نعالج جزئيات الصورة الشاملة ونصبر على هذه المعالجة ، ونتقن ترتيب

---

[١٥] يراجع خطاب سايروس فانس في الكونغرس يوم ١٩٨٠/٣/٢٩ ، وفيه شرح لمفهوم القوة « نيويورك تايمز » *(New York Times)* ، ١٩٨٠/٣/٣٠ .

التفاصيل.[16]

*

نبدأ بتوقع ما سيكون عليه حال الانفراج الدولي، لنتعرف على البعد الدولي في الصراع العربي – الاسرائيلي، ونحاول الاجابة عن الاسئلة التي ثارت من خلال حديث الحاضر والماضي.

لقد ثار سؤال هل ستنتهي ازمة الانفراج ام ستشتد؟ وثار سؤال كيف ستكون العلاقات بين الدولتين خلال الثمانينات؟ وثار سؤال كيف سيكون تعامل الدولتين مع الصراع العربي – الاسرائيلي في اي من الحالين؟

لنا ان نتوقع استمرار ازمة الانفراج لفترة لا تقل عن العام، وقد تطول لتصل الى خمس سنين. ذلك ان ما تخرب خلال استفحال الازمة على مدى الشهور الماضية، يحتاج سنوات لاصلاحه. واذا كان الانفراج يعني هدوء التوتر بين الدول، فان العالم يدخل الثمانينات والتوتر شديد بين الدولتين الكبريين، وقد تعددت اسبابه وتنوعت وانتشرت بؤره على مواقع مختلفة من كرتنا الارضية.[17]

لسنا هنا في معرض شرح اسباب التوتر وتحليلها. وما يهمنا في بحثنا هو ان الخلاف حول كيفية معالجة الصراع العربي – الاسرائيلي هو احد هذه الاسباب، وأن منطقة الوطن العربي وفلسطين في قلبها هي احدى بؤر التوتر. ولقد عني كاتب هذه السطور بالتعرف على توقعات كبار المسؤولين عن السياسة الخارجية في الدولتين الكبريين وفي عدد من الدول الاخرى، بشأن مستقبل الانفراج من خلال احاديث مباشرة وغير مباشرة، **فوجد ما يشبه الاجماع على ان الازمة ستستمر لفترة، وأنها ستنعكس على معالجة الصراع العربي – الاسرائيلي.[18]**

لنا ان نتوقع اذن ان تسود سياسة الاستقطاب في منطقتنا، وأن تحاول الولايات المتحدة

---

[16] شرحنا هذه الفكرة في مقالنا «أفكار»، مجلة «شؤون فلسطينية»، ايلول (سبتمبر) ١٩٨٠.

[17] يراجع مقال "What Ever Happened To Detente" في *Time Magazine*، ١٩٨٠/٦/٢٣.

[18] كان ذلك اثناء افتتاح الدورة الخامسة والثلاثين للجمعية العامة للامم المتحدة، ايلول (سبتمبر) ١٩٨٠.

متابعة الانفراد في معالجة الصراع العربي – الاسرائيلي ، ويحاول الاتحاد السوفياتي في الوقت نفسه متابعة معارضته لتلك المعالجة والعمل على افشالها . ولنا ان نتوقع ان تتأثر مواقف كل من الدولتين ازاء قضية فلسطين ، بالمواجهة القائمة بينهما في اماكن مختلفة ، وبسبب موضوعات اخرى .

لا بد لنا كي نحيط بأبعاد هذا الوضع ، ان نتعرف على سياسة كل من الدولتين تجاه الانفراج والصراع العربي – الاسرائيلي .

لقد اوضح سايروس فانس في خطابه امام لجنة الشؤون الخارجية ، يوم ١٩٨٠/٣/٣٠ ، « ان الانفراج لا يمكن فصله عن الردع ، وأن الردع يتطلب تضحيات » . وذكر « ان الولايات المتحدة وهي تتطلع الى الثمانينات ، تجد انها تواجه تحديا سوفياتيا خطيرا ؛ فتعزيز القوات السوفياتية يجري على قدم وساق . وقد اظهر السوفيات استعدادهم لاستخدامها . »[19] فاذا اخذنا في الاعتبار ان وزير الخارجية الاميركي السابق كان يمثل خطا معتدلا في الادارة الاميركية يقول ان هناك مصالح مشتركة بين اقوى اثنين في العالم ، يمكننا ان نقدر الى اي مدى يذهب الخط الآخر المتطرف الذي يمثله بريجنسكي والذي يخالف هذا القول ، ويعلن « انه يؤمن ان العلاقة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي هي علاقة عداء في الجوهر » .[20] وقد سار هذا الخط في طريق « اقامة تحالف عسكري بين الصين واليابان والغرب يكون هدفه مواجهة التوسع السوفياتي المتزايد في المحيط الهادي والشرق الاقصى . »[21] ويمكننا ان نقدر ايضا الى اي مدى سيذهب الحزب الجمهوري إن فاز بالانتخابات ، وهو الذي ينعي على الحزب الديمقراطي تساهله مع الاتحاد السوفياتي .

أما بالنسبة للصراع العربي – الاسرائيلي ، فان الولايات المتحدة ملتزمة بتطبيق اتفاقيات كامب ديفيد التي ابرمتها مع مصر واسرائيل . وهي تتحدث عن منع النزاع في الشرق الاوسط والسلم الشامل في اطار ما نصت عليه هذه الاتفاقيات ومع التشديد

---

[19] خطاب سايروس فانس امام لجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس ، ١٩٨٠/٣/٣٠ .

[20] سالي كولي ، « واشنطن بوست » *(Washington Post)* ١٩٧٩/١٢/٢١ .

[21] جون كولي ، « الخطوط العريضة للسياسة الاميركية في الثمانينات » ، « كريستيان ساينس مونيتور » *(Christian Science Monitor)* ، ١٩٨٠/١/١٥ .

على صيانة امن اسرائيل وسلامتها . ولقد اوضح الرئيس كارتر في خطابه عن « حال الاتحاد » امام الكونغرس هذه السياسة بقوله : « اننا نعمل مع حلفائنا على منع النزاع في الشرق الاوسط . ان معاهدة السلام بين مصر واسرائيل انجاز بارز يشكل دعامة استراتيجية لاميركا ويعزز الاحتمالات من اجل سلام اقليمي وعالمي . ونجري الآن مزيدا من المفاوضات لتأمين حكم ذاتي كامل لشعب الضفة الغربية وقطاع غزة . وكذلك لحل المشكلة الفلسطينية من جميع نواحيها وصيانة سلام اسرائيل وأمنها . ويجب ألا يشك احد بالتزامنا بأمن اسرائيل . »[٢٢] كذلك اوضح فانس في خطابه الذي اشرنا اليه « ان التسوية الشاملة بين اسرائيل وجيرانها تبقى هدفا اميركيا اوليا ، فهو يعزز امن اسرائيل الذي سنبقى ملتزمين به وأمن جيران اسرائيل واستقرار المنطقة . » ويأتي هذا التوجه ضمن ما اسماه مصلحة الولايات المتحدة في تحقيق السلام في مناطق مضطربة من العالم ، وهي واحدة من ثماني مصالح اميركية مركزة ذكر انها ستحكم السنوات العشر القادمة .[٢٣] ولقد اكد ماسكي ، وزير الخارجية الاميركي الجديد ، هذا التوجه في خطابه امام الجمعية العامة للامم المتحدة يوم ١٩٨٠/٩/٢٣ ، وقال : « اننا اذ نسعى جاهدين لحل هذا النزاع فاننا ملتزمون بايجاد حل لمشكلة فلسطين من جميع نواحيها ، وفي الوقت ذاته بالامن الدائم لدولة اسرائيل . ونحن لا تراودنا اية اوهام فيما يتعلق بالصعاب التي تكتنف هذا المسعى . » وطالب جميع اعضاء الجمعية العامة ان يقدموا مؤازرتهم لهذه المفاوضات ، لان كامب ديفيد برهنت حتى الآن – وبالنسبة للمستقبل ايضا – على انها اهم طريق يبعث على الامل بالنسبة للسلم في الشرق الاوسط .[٢٤] ويلفت النظر ان وزير الخارجية الاميركي كان يوجه هذا الحديث لدول اجمعت على ان اتفاقيات كامب ديفيد فشلت في معالجة قضية فلسطين ، وذلك حين تناولتها بالحديث في الدورة الطارئة التي انعقدت في صيف ١٩٨٠ .

ان اقدام الولايات المتحدة على إبرام اتفاقيات كامب ديفيد هو تعبير عن المرحلة الراهنة من السياسة الاميركية تجاه منطقة الوطن العربي . ولقد شرح هذه السياسة

---

[٢٢] خطاب كارتر ، « حال الاتحاد » يوم ١٩٨٠/١/٢٣ عن جريدة « اللواء » ، ١٩٨٠/١/٢٥ .
[٢٣] خطاب سايروس فانس يوم ١٩٨٠/٣/٣٠ .
[٢٤] خطاب ماسكي ، سلسلة الوثائق الصادرة عن الامم المتحدة يوم ١٩٨٠/٩/٢٣ .

شرحا مستفيضا هارولد سوندرز ، مساعد وزير الخارجية الاميركي لشؤون الشرق الادنى ، في بيانه امام لجنة فرعية في مجلس النواب الاميركي في تموز (يوليو) ١٩٧٩ ، وفي خطابه بسانت لويس في مؤتمر حول الشرق الاوسط في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٩ . ويمكننا ان نستخلص من شرحه ان الولايات المتحدة تستشعر الاهمية البالغة للمنطقة التي يتجمع فيها من المصالح الاميركية المهمة والمختلفة اكثر مما يتجمع في اية منطقة من العالم النامي . وأن المتابعة الناشطة لتحقيق سلام عربي – اسرائيلي هي اساس لمتابعة المجموعة الكاملة من المصالح الاميركية في كل انحاء المنطقة . وأن المنطقة هي من بين اسرع مناطق العالم تغييرا ، فلا بد من استنباط استراتيجية تستجيب لطبيعة التغييرات . وتشمل عناصر التغيير التطورات الاقتصادية العميقة التي تشهدها المنطقة ، وبروز المشاعر الوطنية بقوة وبأشكال مختلفة ، واشتداد النزاعات الاقليمية ، والسعي لامتلاك الاسلحة النووية . وقد ظهر في المنطقة ردا فعل معاصران على هذا التغيير ، تمثلا في تأكيد الهوية الثقافية والدينية وفي الضغوط التي تتعرض لها انظمة قائمة . ومن الطبيعي ان يكون لهذا التغيير اثره على مكان اسرائيل في المنطقة ، خصوصا وان اسرائيل تشهد بدورها تغييرات دراماتيكية تتعلق بالحرب والسلام بعد مبادرة الرئيس السادات . ومن هنا ، فان الجهد الهادف الى السير في ثبات نحو حل النزاع العربي – الاسرائيلي يبقى العنصر الرئيسي في تصميم الولايات المتحدة على المساهمة في تغيير بناء مصالحها وضمان هذه المصالح في المنطقة . ولكي تخدم التسوية مصالح الولايات المتحدة لا بد ان تستجيب لمصالح شعوب المنطقة.[٢٥] وهناك مجالات خمسة تأتي في الدرجة الاولى من اهتمام الولايات المتحدة في الشرق الاوسط ، هي : تجنب المواجهة مع السوفيات في المنطقة التي لم تحدد فيها الخطوط بين الدولتين الكبريين ، مع اهمية حرمان السوفيات من النفوذ فيها ؛ وأمن اسرائيل ؛ والموارد النفطية في المنطقة ؛ والحفاظ على روابط ودية مع الدول العربية المعتدلة ؛ والانشغال بالمشكلات الانسانية النابعة من النزاع . « ولقد تبين لنا خلال السنوات الست الماضية [والحديث لسوندرز] ان الاستراتيجية التي ترتكز على ايجاد سلام عربي – اسرائيلي هي التي تخدم مصالحنا اكثر ما يكون . وهذا السلام

[٢٥] بيان سوندرز عن قوى التغير في منطقة الشرق الاوسط امام لجنة الكونغرس ، « النهار » ، ١٩٧٩/٣/٣١ .

يقتضي معالجة مسألة اساسية هي العلاقة بين اسرائيل وجاراتها الاخريات ، وعلى الاخص اسرائيل والشعب الفلسطيني العربي . والشيء الذي نسعى اليه كشريك كامل في مفاوضات مستمرة هو اساس دائم للتوكيد على امن اسرائيل التام ، وفي الوقت نفسه الاستجابة للحقوق المشروعة للفلسطينيين . »[٢٦]

لا بد لنا ان نشير الى افكار الحزب الجمهوري حول الصراع العربي – الاسرائيلي ، ونحن في معرض التعرف على سياسة الولايات المتحدة تجاه الصراع ، آخذين بعين الاعتبار ان الانتخابات الاميركية على الابواب . ويمكننا من خلال تصريحات المرشح الجمهوري ، رونالد ريغان ، ومن خلال خطابه في جمعية بني – بريت الصهيونية يوم ١٩٨٠/٩/٣ على الخصوص ، الذي تناول فيه قضية الصراع بالتفصيل ، ان نلاحظ ان الخطوط الاساسية لسياسة الحزب الجمهوري لا تكاد تختلف عن تلك التي شرحناها ، مع نزوع نحو المزايدة لارضاء الصوت الصهيوني . واذا طرحنا جانبا المغالطات التي تضمنتها هذه التصريحات – وهي كثيرة سواء بالنسبة لحقائق الجغرافيا او لحقائق التاريخ – نجد ان هذه السياسة تنطلق من النظر الى اسرائيل باعتبارها « رمزا » ، و « ضرورة استراتيجية ، وشيئا ثمينا لمصالح الولايات المتحدة » و « أن اسرائيل يجب ان تبقى قوية وآمنة . وأن السلام مطلوب للمنطقة في هذا النطاق . وأن من الخطأ اشراك الاتحاد السوفياتي في عملية السلام . وأن الدبلوماسية الاميركية يجب ان تأخذ في الاعتبار الهموم الشرقية لجميع من في المنطقة . وأن اساس التسوية هو قرارا مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨ ، ولا بد من ازالة الغموض القائم في اتفاقيات كامب ديفيد حول الربط بين المعاهدة المصرية – الاسرائيلية والحكم الذاتي في الضفة والقطاع . وأن التفاوض يتم بين اسرائيل والاردن . وأن اتفاقيات كامب ديفيد يجب ألا تقود الى تغييرات اساسية في الوضع الامني أو الى انسحاب القوات الاسرائيلية ، ما لم يحقق الاردن والجيران الآخرون السلام . وأنه لا يجوز التعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية ، وانما يكون التعامل مع « ممثلين حقيقيين » للعرب الفلسطينيين ملتزمين بالسلام . وأن الحل الوحيد لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين هو دمجهم في الاردن الذي صمم من قبل الامم المتحدة ليكون الدولة

---

[٢٦] خطاب سوندرز امام مؤتمر حول الشرق الاوسط في سانت لويس ، « اللواء العربي والدولي » ، ١٩٧٩/١١/٨ .

الفلسطينية . »[٢٧]

ان ما نخرج به من دراسة السياسة الاميركية تجاه الصراع العربي – الاسرائيلي ، هو انها سياسة مشوشة مرتبكة عاجزة عن التكيف مع متغيرات طرأت في المنطقة ومع متطلبات السلام العادل. فهي تريد تسوية شاملة لأنها تخشى ان يؤدي التوتر في المنطقة الى حرب اوسع ، ولكنها تريد في الوقت نفسه الانفراد في فرض التسوية التي تراها . وهي تستشعر حجم مصالحها مع الدول العربية وأثر موقفها المتحيز لاسرائيل على هذه المصالح . ولكنها لا تزال ، في الوقت نفسه ، اسيرة النظرة القديمة التي نظر بها واضعو الاستراتيجية الاميركية لدور اسرائيل في المنطقة . وقد عجزت عن التكيف مع حقيقة الثورة الفلسطينية ومع التغيرات التي طرأت في عدد من الدول العربية . ونلاحظ ان هذه السياسة الاميركية تزعم انها غير قادرة على إلزام اسرائيل بتنفيذ القرارات الدولية والامتناع عن القيام بأعمال تمثل عقبات عملية في طريق تحقيق التسوية . **وهكذا ، لنا ان نتوقع ان تلقي هذه السياسة المشوشة المرتبكة بظلها الثقيل على مجرى الاحداث خلال السنوات القادمة ، فتحاول استمرار العمل منفردة ، وتخوض صراعا مع الاتحاد السوفياتي في المنطقة ، او تعاكس جهود اوروبا الغربية في مجال تحقيق التسوية الشاملة ، وتتخبط في تعاملها مع الدول العربية .**

لقد تحمس الاتحاد السوفياتي لسياسة الانفراج في السبعينات . وأعلن على لسان ليونيد بريجنيف انه سوف يستمر في عدم ادخار اي جهد للحفاظ على الانفراج ، وعلى كل شيء ايجابي تم تحقيقه في السبعينات للسير في اتجاه نزع السلاح ، واحترام حق الشعوب في التنمية الحرة المستقلة ، والحفاظ على السلام وتدعيمه . وهو ينحي باللائمة على الولايات المتحدة ودوائر ذات نفوذ في بعض الدول لانها – كما قال غروميكو – « تود ان تبدد مكاسب سياسة الانفراج التي تحققت خاصة في السبعينات نتيجة لجهود طويلة ومضنية بذلتها دول عديدة » . ويأخذ الاتحاد السوفياتي على الولايات المتحدة « انها اختارت السير في طريق ذي نزعة عسكرية يسمى الاستراتيجية النووية الجديدة ، يوصل الى امكانية الاستخدام المحدود او الجزئي للاسلحة النووية ، ويحاول ان يدخل في اذهان البشر فكرة مشروعية او امكانية قبول النزاع النووي . » كما يأخذ

---

[٢٧] خطاب رونالد ريغان في جمعية بني – بريت بواشنطن يوم ١٩٨٠/٩/٣ (وثيقة رسمية) .

عليها تأجيلها التوقيع على اتفاقية سولت ٢ ، واعتناقها عقيدة تسعى للسيطرة على المناطق الغنية في العالم بحجة ان لاميركا مصالح حيوية فيها ، وتدخلها العسكري في بعض المناطق ، وانفرادها في محاولة فرض تسوية للصراع العربي – الاسرائيلي ، وتشجيعها النزعة العسكرية في اليابان ، وتواطؤها مع الصين . وينفي الاتحاد السوفياتي فكرة وجود خطر عسكري سوفياتي تعزو اليه الولايات المتحدة سبب تدهور الاوضاع الدولية وتضرب مثلا له ما حدث في افغانستان ، ويعتبر ان تدخله هناك «جاء لمنع ظهور خطر مباشر يهدد امن الاتحاد السوفياتي على حدوده الجنوبية» ، ويعلن «انه سوف يسحب قواته بالاتفاق مع حكومة افغانستان بمجرد زوال الاسباب التي ادت الى ادخالها وليس قبل ذلك» . ويطرح الاتحاد السوفياتي مقترحات للعمل في المؤتمرات التي ستنعقد حول الانفراج العسكري ونزع السلاح في اوروبا ، وبشأن تخفيف التوتر في المحيط الهندي ، وبشأن نزع السلاح .[٢٨]

من الواضح اذن ان ازمة الانفراج ستستمر لبعض الوقت . ويرى بعض المراقبين ان الدولتين الكبريين ستعمدا الى الاتفاق على صيغة يتحقق فيها الانفراج مجزأً بالاتفاق على قضية بعينها ، لان الاتفاق على كل القضايا مرة واحدة يحتاج وقتا طويلا ، إن لم يكن متعذرا . وما يهمنا هنا هو ان احدى قضايا الخلاف في هذه الازمة هي قضية فلسطين وتسوية الصراع العربي – الاسرائيلي .

ان سياسة الاتحاد السوفياتي في هذا المجال تقول بايجاز : «ان صفقة كامب ديفيد المناهضة لمصالح العرب ، قد اسفرت عن تزايد التوتر في الشرق الاوسط . وهي تضر بالمطالب العادلة للدول العربية ، وبالحقوق الوطنية الثابتة لشعب فلسطين العربي الذي تعتبر منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد له . وترمي هذه الصفقة الى الاستجابة لمطالب اسرائيل التوسعية ، والى اقامة وجود عسكري اميركي في الشرق الاوسط .»[٢٩] وهي تستهدف في هذه المرحلة افشال اتفاقيات كامب ديفيد وصولا الى اتفاق دولي حول تسوية الصراع ، يتم من خلال توافق الدولتين الكبريين . وهكذا ، فان السياسة السوفياتية تتركز الآن على معارضة ما تقوم به الولايات المتحدة . وهناك

---

[٢٨] خطاب غروميكو في الامم المتحدة يوم ١٩٨٠/٩/٢٣ (وثيقة رسمية) .
[٢٩] المصدر نفسه .

ما يشير الى ان الدولتين لم تتطرقا في اللقاءات التي تمت بينهما مؤخرا ، الى هذا الموضوع تعبيرا عن ان الخلاف بالغ مداه . ومن الملاحظ ان الاتحاد السوفياتي لا يُفصل الحديث عن الحقوق الوطنية الثابتة لشعب فلسطين ، وينطلق في حديثه عنها من قراري ٢٤٢ و ٣٣٨ .

يمكننا على ضوء هذا الفهم للخلاف الناشب بين الدولتين حول تسوية الصراع العربي – الاسرائيلي ، ان نزداد فهما لمبررات التحركات التي قامت بها أطراف دولية اخرى للاسهام في تسوية الصراع . وفي مقدمة هذه التحركات التحرك الاوروبـي الغربي ، كما ان منها تحرك رومانيا ، وتحرك دول عدم الانحياز .

لقد بدأ التحرك الاوروبي في اعقاب حرب ١٩٧٣ ، انطلاقا من ارتباط امن اوروبا بأمن الوطن العربي . ولم يكن امامه مجال اوسع للحركة ابان فترة الانفراج بين الدولتين ، فبقيت اوروبا الغربية خارج اطار مؤتمر جنيف . ولكن المجال اتسع مع حدوث ازمة الانفراج فازداد التحرك ، وحاولت دول المجموعة الاوروبية ان تمارس شيئا من حرية الحركة بعيدا عن الارتباط الكلي بالسياسة الاميركية ، وتعبيرا عن دور اوروبي في تسوية الصراع بدأ يتحدد بوضوح على ضوء مصالح اوروبا في الوطن العربي . وقد وصل هذا التحرك الى اصدار بيان البندقية الذي نص بوضوح على خطورة التوتر في المنطقة وضرورة بلوغ تسوية شاملة للنزاع العربي – الاسرائيلي ، وعلى ان الروابط والمصالح التي تجمع اوروبا والشرق الاوسط تفرض على دول المجموعة ان تلعب دورا خاصا وتقوم بعمل ملموس من اجل السلام . وقد حدد البيان اسس التسوية ، مؤكدا على مبدأي حق كل دول المنطقة – بما فيها اسرائيل – في الوجود والامن ، والعدل والمساواة لجميع الشعوب مما يفرض الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . وأوضح ان المشكلة الفلسطينية ليست مشكلة لاجئين ، وأن الشعب الفلسطيني يجب ان يتاح له ممارسة حقه في تقرير المصير ممارسة كاملة ، او انه يجب اشراك منظمة التحرير في التفاوض . وذكّر البيان بضرورة ان تضع اسرائيل حدا لاحتلال الاراضي الذي تستمر فيه منذ نزاع ١٩٦٧ .

لنا ان نتوقع ان تستمر محاولات التحرك هذه خلال الفترة القادمة . وستكون حصيلة تحرك دولة بعينها ، كرومانيا مثلا ، مفيدا في التعرف على وجهات نظر الاطراف في بعض القضايا التفصيلية . كما سيفيد تحرك دول عدم الانحياز في توفير مناخ

صالح يساعد على فرض الانسحاب على اسرائيل – وخصوصا في نطاق الامم المتحدة – حيث يمكن ان يلح على فرض العقوبات على اسرائيل ويدعو لطردها من المنظمة الدولية. أما التحرك الاوروبي فلنا ان نتوقع ازدياد اهميته ابان ازمة الانفراج. ومن الواضح عدم وجود تطابق بين الموقفين الاوروبي والاميركي. ولنا ان نتوقع تزايد الخلاف القائم بين الموقفين. ومن الممكن ان تزداد فاعلية هذا التحرك الاوروبي لو نجح الاوروبيون في اقناع الاتحاد السوفياتي بفائدته وجرى بموافقة الدولتين الكبريين.

يمكننا على ضوء ما سبق ان نجيب عن الاسئلة التي برزت بشأن السياسات الدولية في المنطقة وعلاقات المنظمة الدولية. فحول مكان اسرائيل في الاستراتيجية تجاه منطقة الوطن العربي بعد إبرام اتفاق كامب ديفيد، نرجح **الرأي الذي يرى ان هذا المكان قد تغير، ولكن السياسة الاميركية لم تتواءم بعد مع هذا التغير، ولذلك ستعاني من التشويش والارتباك. وسيكون علينا، كعرب وكفلسطينيين، ان نؤثر بوسائل مختلفة على هذه السياسة في اتجاه انهاء دور اسرائيل كقاعدة عسكرية اميركية في المنطقة.**

– على الرغم من ان الولايات المتحدة تعلن تشبثها بموقفها المعادي من منظمة التحرير وموقفها المنكر للحقوق الوطنية لشعب فلسطين، فان لنا ان نتوقع ان تفرض عليها العزلة التي تعانيها بسبب هذين الموقفين اعادة النظر فيهما، والقبول بالاجماع الدولي المؤيد لهذه الحقوق والمعترف بمنظمة التحرير مع استمرار محاولة ربط الكيان الفلسطيني بالاردن.

– ان المجال مفتوح امام تطوير الموقف السوفياتي من الحقوق الوطنية لشعب فلسطين، والتعاون على صعد عدة مع الاتحاد السوفياتي لفرض انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة. ولا بد من بحث عدد من الموضوعات التفصيلية التي تبرز في هذا النطاق، ومن بينها ان يمارس الاتحاد السوفياتي سياسة اوروبية تساعد على انجاح تحرك اوروبي ملائم، وأن يوجه الاتحاد السوفياتي سياسته تجاه مساعي الصهيونية لتهجير اليهود السوفيات بما يتفق مع المصلحة العربية ويقاوم العنصرية الصهيونية، وأن يتبنى الاتحاد السوفياتي قرارات الامم المتحدة مجتمعة اساسا للحل ومنها قرار ١٨١ وقرار ١٩٤،

وأن يساعد على تطوير القوة العسكرية للمنظمة .

– على ضوء توقعنا لاستمرار التحرك الاوروبي ، مطلوب التفاعل مع هذا التحرك لتوجيهه الوجهة التي تتفق مع حقوق شعب فلسطين. ولا بد من الانشغال بتفاصيل جزئيات هذا التحرك .

– لا بد لنا ونحن نقاوم سياسة الانفراد الاميركية في المنطقة ، ان نسعى الى بلوغ حل عادل وشامل توافق عليه جميع الاطراف ، ويكون منطلقا من استقلال المنطقة العربية ، ومنسجما مع سيادتها وعدم انحيازها ، وملبيا لمصالحها. **كما لا بد لنا ان نعمل على مقاومة سياسة الاستقطاب في الوطن العربي ، تعبيرا عن تمسكنا بذاتيتنا ، ودفعا لاخطار هذه السياسة علينا.**

* *

نأتي الى البعد الاسرائيلي في الصراع العربي – الاسرائيلي كما سيبدو في الثمانينات . فنلاحظ ، بداية ، ان موضوع الامن وموضوع التوسع سيبقيان هما الموضوعان المسيطران على العقلية الصهيونية. ولنا ان نتوقع ، انطلاقا من ذلك ، ان يبرز في اسرائيل اتجاه متطرف يفرض على بقية الاتجاهات ان تسايره وتلحق به ، يتشبث بمقولات الاحتلال والضم والهيمنة. وقد رأينا امثلة على هذا الاتجاه في قضية الاستيطان وفي ضم القدس . وسيؤدي تطرف هذا الاتجاه الى مزيد من عزلة اسرائيل الدولية ، والى بروز خلافات حول الاسلوب بينها وبين الولايات المتحدة الاميركية ، والى احتدام الخلاف على الصعيد الاسرائيلي الداخلي وعلى صعيد يهود العالم ، مع اتجاه آخر يرى بأنه لا مستقبل لاسرائيل إلا بالخضوع لمتطلبات السلام .

ستسعى اسرائيل لمضاعفة قوتها العسكرية.[٣٠] ويتوقع يتسحاق رابين « ان ينتظر اسرائيل في الثمانينات نضال صعب على ضوء التطورات السياسية والاقتصادية في الولايات المتحدة لضمان القوة العسكرية المطلوبة. وبالتالي ، سيكون لشبكة العلاقات بين الولايات المتحدة واسرائيل تأثير حاسم في القدرة على الاحتفاظ بالقوة العسكرية المطلوبة . »[٣١]

---

[٣٠] يراجع ملف « امن اسرائيل في الثمانينات » (بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٨٠) .
[٣١] يتسحاق رابين ، « مشكلات امن اسرائيل في الثمانينات » في المصدر نفسه .

وسيبقى شاغل السياسة الاسرائيلية امر علاقتها بالولايات المتحدة الاميركية ، والحفاظ على مكانها في الاستراتيجية الاميركية على ضوء التغيرات التي طرأت في المنطقة . وقد اوضح الجنرال يسرائيل طل « انه ليس ثمة شك ان العالم العربي اهم من اسرائيل بالنسبة للولايات المتحدة الاميركية من الناحية الاستراتيجية ، اي من ناحية العناصر الثابتة التي يجب اخذها بعين الاعتبار بصورة عامة ، وذلك خلال التوقعات بعيدة المدى او خلال وضع الاستراتيجية . أما من يحاول تقديم اسرائيل على انها مركز استراتيجي هام للولايات المتحدة ، فهو ينسى او لعله يتناسى انه يتعرض الى اوضاع متبدلة والى اعتبارات خلاصتها ان بوسع الولايات المتحدة استخدام اسرائيل كوسيلة تكتيكية تماما . وعندما تقوم بذلك فان لهذا الامر اهمية استراتيجية بالنسبة الى اسرائيل . وعلينا ان نميز بين العناصر الزائلة والعناصر الاستراتيجية التي لا تتبدل . وهذا سيصل بنا الى ان من غير الممكن ان تكون اسرائيل دائما اهم من العالم العربي بالنسبة الى المصالح الاميركية . »[٣٢] **ولنا ان نتوقع ان يقوى رأي في الاوساط الاسرائيلية يستشعر خطر الدور الذي تسنده الولايات المتحدة لاسرائيل كقاعدة عسكرية على مصير اليهود ومصالحهم ، ويدعو من ثم الى دولة يهودية محايدة تضمنها الاتفاقات الدولية كسويسرا كما يقول غولدمان ، وتتخلى عن الاراضي التي احتلتها مقابل السلام كما ينادي بعض انصار حركة السلام الآن .** ولنا ان نتوقع امكانية ان يقوى اصحاب هذا الاتجاه مع حدوث تغيرات في اساليب معالجة الصراع العربي – الاسرائيلي . وقد لاحظ رابين « ان جميع الاحزاب السياسية كانت متفقة على عدم العودة الى خطوط الرابع من حزيران [يونيو] ١٩٦٧ في اي حال من الاحوال ثم وافقت في معاهدة السلام مع مصر على اخلاء كل منطقة سيناء حتى الحدود الدولية السابقة بين مصر وفلسطين تحت الانتداب . » كما لاحظ « ان الاعتراف بضرورة حل المشكلة الفلسطينية بطريقة تتيح للفلسطينيين الاشتراك بصورة فعالة في تقرير مصيرهم كعنصر مستقل عن الاردن او عن اية جهة عربية اخرى ، هو ايضا عنصر جديد في سياسات الاحزاب الاسرائيلية . »[٣٣]

لنا ان نتوقع حدوث تغيرات اساسية في داخل التجمع الاسرائيلي خلال الثمانينات .

---

[٣٢] يسرائيل طل ، مجلة « الامن الاوروبي » ، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٩ ، ترجمة مركز التخطيط .

[٣٣] يتسحاق رابين ، « مشكلات امن اسرائيل في الثمانينات » في ملف : « امن اسرائيل في الثمانينات » .

وقد سجل موردخاي روزنفيلد « ان الزمن يعمل لغير مصلحة اسرائيل ولاسباب عديدة ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : تردي الاوضاع الاقتصادية ، وتفشي البطالة ، وتزايد السكان ، وتصاعد الشعور القومي عند العرب الاسرائيليين ، واضطراب العلاقات مع الولايات المتحدة الاميركية . » ولاحظ روزنفيلد « ان نسبة الضرائب في اسرائيل اعلى من اية نسبة في الدول الغربية ، وأن نسبة التضخم بلغت في العام الماضي ١٠٠٪ ، وأن ١٠٪ من سكان اسرائيل اليهود هاجروا الى الولايات المتحدة خلال السنوات القليلة الماضية ، وأن هناك اسبابا تعوق اسرائيل عن المحافظة على تفوقها العسكري في الثمانينات منها الارتفاع الحاد في نفقات التسلح ، ومنها ان اسرائيل ليست وحدها حجر الاساس في المصالح الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية الاميركية في الشرق الاوسط ، فهناك السعودية ومصر . »[٣٤]

ان المجال واسع امام النضال الفلسطيني للتأثير على التجمع الاسرائيلي من داخله . ولا بد من رسم سياسة واضحة تبين اساليب تحرك المنظمة لمحاصرة غلاة الصهاينة الاسرائيليين ، ولتغذية الاتجاهات اليهودية المعادية للاستيطان والحرب والقمع ، ولجذب اليهود العرب ومن بينهم يهود فلسطين العرب ، وللتأثير على دعاة الصهيونية الجدد الذين يحاولون طرح مفهوم جديد للصهيونية يرفض التوسع والممارسات العنصرية ، وللحوار مع القوى التقدمية اليهودية تنفيذا لقرار المجلس الوطني الفلسطيني .

لنا ان نتوقع ايضا حدوث تغييرات اساسية في العلاقة بين اسرائيل والتجمعات اليهودية في العالم ، على ضوء المتغيرات التي طرأت على اوضاع هذه التجمعات ، وعلى ضوء ما ظهر بالتجربة العملية في المثل الاسرائيلي . وقد نبه غولدمان ان الفساد ينخر في الجسم الاسرائيلي ، ولم ينج منه حتى الآن إلا المؤسسة العسكرية والمؤسسة القضائية ، ومن ثم فان صورة الدولة اليهودية بدأت تهتز في اذهان الكثيرين . والمجال واسع امام النضال الفلسطيني للتحرك بين التجمعات اليهودية في العالم بهدف محاصرة الصهيونية فيها .

* *

[٣٤] موردخاي روزنفيلد ، مجلة « اسرائيل روند شاو » (المانيا الغربية) ، ترجمة مركز التخطيط .

ستبقى مسيرة الشعب الفلسطيني في الثمانينات متأثرة بالبعد العربي في الصراع الى حد كبير . وتبرز في الصورة العربية نقاط كثيرة لا بد من الاحاطة بها . ويضيق المجال هنا عن الحديث عنها . ومن هنا نكتفي باشارة سريعة الى ان الثمانينات ستشهد وطنا عربيا متغيرا يشتد فيه الجيّشان على الصعيد الوطني بفعل تحولات اجتماعية تغير التركيب الاجتماعي فيه . ويثور فيه الصراع بين عرب وعرب بفعل عوامل مختلفة على الصعيد القومي . وتنشب فيه خلافات مع الدول المجاورة له التي تمثل عمقه . وستبرز في هذا الوطن العربي قضايا محددة تستقطب اهتمام جماهيره . وستبقى قضية تحرير الارض المحتلة من اهم هذه القضايا . كما ستتعاظم قضية النضال من اجل احترام الانسان العربي في مجتمعه وقضية النضال من اجل سيادة الشورى والديمقراطية على صعيد الحكم في الوطن العربي . وسيتأكد مقياس العمل للوحدة العربية بايجاد الحقائق الوحدوية بين أجزاء الوطن العربي وبالنضال من اجل تلك القضايا .

على ضوء ذلك ستكون الحاجة ملحة لايجاد الموقف العربي الواحد من خلال العمل العربي الموحد ، وللسعي من اجل اخضاع الصراع بين عرب وعرب الى متطلبات الصراع العربي – الاسرائيلي . وسيكون على منظمة التحرير ان تتقن التحرك وسط العمل العربي الموحد وعلى الصعيد الثنائي للمساهمة في صنع الموقف العربي الواحد . ولن تكون المهمة سهلة في غياب الزعامة العربية الموحدة .

ان نجاح الثورة الفلسطينية في بلوغ هدف التحرير سيرتبط بمدى نجاح المنظمة في تنظيم العلاقة الفلسطينية اللبنانية وتقنينها ، وفي ايجاد صيغة عملية تحكم العلاقة الفلسطينية الاردنية ، وفي رسم خريطة العلاقات في سورية الكبرى ، وفي حشد طاقات العراق ودول الجزيرة العربية ، وفي تغلب مصر على اخطار اتفاقيات كامب ديفيد وعودتها للقيام بدورها ضمن المجموعة العربية .

* *

وبعد ،

فمن الواضح ان منظمة التحرير الفلسطينية تغذ السير متقدمة نحو هدفها المرحلي الذي حددته . وعلى الرغم من وجود صعوبات كثيرة تعترضها ، فان مجرى الحركة التاريخية في مطلع الثمانينات يتفق مع وجهتها . ويبقى ان تنجح المنظمة

في معالجة هذه الصعوبات. وسيساعدها كثيرا ان تتسلح بالوضوح ، مدركة مكانها كثورة تحرير ، وواعية طبيعة عصرها ، ومتحدثة بلغة العصر. وسيكون عليها ان تنهض بمسؤوليات كثيرة على صعيد النضال العسكري والنضال السياسي ، وأن تتقن العمل ضمن مفهوم الثورة الشامل ، وتعتمد على الفكر في عملها ، وتعبر عن ذاتها وهويتها ، وتدرك طبيعة المرحلة التي بلغتها الثورة ، وتحسن التعامل مع التفاصيل. ولا بد لها كي تنجح في ذلك كله ، ان تتمسك بالشورى والديمقراطية ، وتستكمل بناء مؤسستها. ولنا ان نثق بأن هذا النضال سيتوج بالنصر والتحرير.

